المكتبة الثانية للأسرة

مُختَصَر الوابل الصَّيِّب ورافع الكَلِم الطَّيِّب

ابن قيِّم الجوزية
الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
٦٩١-٧٥١هـ

اختصره
د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك
كلية التربية - جامعة الملك سعود



مدار الوطن للنشر



الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤٢٩هـ



الدائري الشرقي - مخرج ١٥ - ٢ كم غرب أسواق المجد

الرياض : الملز / ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) - فاكس : ٤٧٢٣٩٤١
السويدي ت ٤٢٦٧١٧٧ فاكس ٤٢٦٧٣٧٧ فرع جدة ت ٠٢٦٨٧٠٦٧٩ فاكس ٠٢٦٨١٧٣٨٦
مندوب الرياض : ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ - مندوب الغربية : ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
مندوب الشرقية والدمام : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨ مندوب الجنوبية : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧
مندوب الشمالية والقصيم : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
مندوب التوزيع الخيري للمنطقتين الجنوبية والشرقية : ٠٥٠٨٣٩٩٨٥٧
مندوب التوزيع الخيري لباقي مناطق المملكة : ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
لطلبات الجهات الحكومية : ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

الموقع على الإنترنت : www.madar-alwatan.com
البريد الإلكتروني : pop@dar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المختصر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، أما بعد..

فما من شك أن الأسرة هي نواة كل مجتمع وقلبه النابض، وأساس نهضته وازدهاره أن أُحسن رعايتها، أو تخلفه وانكماشه إن أُسيء رعايتها.

ومن هنا توجهت كافة الجهود الرسمية وغير الرسمية لعلاج مشكلات الأسرة، وتذليل العقبات والصعاب التي تواجهها.

وإسهامًا منا في إعداد أسرة مؤمنة متماسكة قادرة على مواجهة التحديات، كان هذا الإصدار **«المكتبة الثانية للأسرة»**.

وقد دفعنا إلى المسارعة في إخراج هذا الإصدار تلقي القراء للمكتبة الأولى للأسرة بالرضى والقبول وذلك من خلال الرسائل الكثيرة التي وصلتنا، وازدياد الطلب عليها، ورغبة الكثيرين من القراء والمتبرعين في الاستمرار على هذا النهج.

ويضم هذا الإصدار من الكتب ما يلي:

١- **مختصر «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير.**

٢- **مختصر «الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب» لابن القيم.**

٣- **مختصر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب.**

٤- **مختصر «صيد الخاطر» لابن الجوزي.**

٥- **مختصر «لطائف المعارف» لابن رجب.**

٦- **مختصر «كتاب الكبائر» للذهبي.**

إن الهدف من هذا الإصدار والذي قبله هو تقوية الوازع الديني في نفوس أفراد الأسرة، وصولًا إلى تعظيم الله تعالى ومحبته والسعي في مرضاته واجتناب معاصيه.

ولا شك أن هذا الهدف يسهم في علاج كثير من مشكلاتنا الأسرية والاجتماعية من كافة الجوانب: الاعتقادية والتعبدية، أو الأمنية، أو الاجتماعية والأخلاقية، أو الاقتصادية.

فإذا قوى الإيمان وصحّت عقائد الناس، اتجهوا إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وابتعدوا عن الشرك كبيره وصغيره، وعن البدع والضلالات التي لا أصل لها.

وعلى **الجانب الأمني**، نجد أن أفراد الأسرة الذين امتلأت قلوبهم بمحبة الله، هم أكثر الناس حفاظًا على أمن البلاد والعباد، وأبعد الناس عن الإرهاب والإفساد في الأرض وترويع الآمنين، فلا يتساهلون بدماء المسلمين وأهل الذمة من المعاهدين والمستأمنين، ولا يتجاوزون حدود الله عزَّ وجلَّ بارتكاب الجرائم التي تُخلُّ بالشرف والمروءة والأمانة.

وعلى **الجانب الاجتماعي والأخلاقي**، نجد أن تقوية الوازع الديني يسهم في إصلاح أوضاع الأسرة الاجتماعية، فيسارع أفرادها إلى تأدية ما عليهم من حقوق، فيختفي بذلك عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، ويسود حسن العشرة بين الزوجين مكان الخلافات الدائمة، ويتعامل الناس فيما بينهم بمكارم الأخلاق، ويسارعوا إلى المشاركة في الأنشطة الاجتماعية التي تحفظ المجتمعات، مثل رعاية الأيتام والأرامل والمعاقين والمسنين وأصحاب الاحتياجات الخاصة وغيرهم.

وعلى **الجانب الاقتصادي**، نجد أنه إذا قوي الإيمان وثبت تعظيم الله في النفوس، أَثَّر ذلك في صدق التعامل بين الناس، وإتقان العمل، والانتهاء عن أكل الربا، وترك الاحتكار، والكف عن رفع أسعار السلع دون سبب، ورأينا التوسط في الإنفاق والاستهلاك والبُعد عن الإسراف والتبذير، والمسارعة في حفظ حقوق المسلمين وغير المسلمين.

وفي الختام أقدم الشكر الجزيل للقراء الكرام والإخوة المتبرعين ولكل من ساهم ودعم وشارك في إنجاح هذا العمل، وأسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يكتب له القبول أنه خير مسؤول وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك
كلية التربية – جامعة الملك سعود
dralmazyad@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم، اللهُ سبحانه وتعالى المسؤولُ المرجوُّ الإجابةَ أنْ يتولاّكم في الدنيا والآخرةِ، وأن يُسبغَ عليكم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً، وأن يجعلَكم ممّن إذا أُنعم الله عليه شَكَرَ، وإذا ابتُلِيَ صبر، وإذا أذنب استغفر. فإنَّ هذه الأمورَ الثلاثةَ هي عنوانُ سعادةِ العبدِ، وعلامةُ فلاحِه في دنياه وأُخراه، ولا ينفكُّ عبدٌ عنها أبدًا، فإنَّ العبد دائم التَّقَلبِ بين هذه الأطباقِ الثلاثةِ.

الأول: نِعَمٌ من الله تعالى تترادفُ عليه، فَقَيْدُها: الشكرُ، وهو مبنيٌّ على ثلاثةِ أركانٍ: الاعترافُ بها باطنًا، والتحدّثُ بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

الثاني: مِحَنٌ من الله تعالى يبتليه بها، فَفَرْضُهُ فيها الصبرُ والتَسَلِّي. والصبرُ: حبسُ النفسِ عن التَّسَخُّطِ بالمقدورِ، وحبسُ اللِّسانِ عن الشكوى، وحبسُ الجوارحِ عن المعصيةِ؛ كاللطمِ، وشقِّ الثيابِ، ونتفِ الشعرِ ونَحْوِهِ.

فمدارُ الصبر على هذه الأركانِ الثلاثة، فإذا قام بها العبدُ كما ينبغي انقلبتْ المحنةُ في حقِّهِ مِنْحَةً، واستحالت البَلِيَّةُ عطيةً، وصار المكروهُ محبوبًا. فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتِله ليَهْلِكَهُ، وإنّما ابتلاه لِيَمْتَحِنَ صبره وعبوديتَه، فإن لله تعالى على العبدِ عبوديةً في الضَّرَّاءِ، كما له عليه عبوديةٌ في السراءِ، وله عليه عبوديةٌ فيما يَكره، كما له عبودية فيما يحبُّ، وأكثر الخلقِ يعطونَ العبوديةَ فيما يحبونَ، والشأن في إعطاءِ العبوديةِ في المكارِه، ففيه تفاوتت مراتبُ العبادِ، وبحسبه كانت منازلُهم عند الله تعالى.

فالوضوءُ بالماءِ الباردِ في شدَّةِ الحرِّ عبوديةٌ، ومباشرةُ زوجتِه الحسناءِ التي يحبُّها عبوديةٌ، ونفقتُه عليها وعلى عيالِه ونفسِه عبوديةٌ، وهذا الوضوءُ بالماءِ الباردِ في شدةِ البردِ عبوديةٌ، وتركُهُ المعصيةَ التي اشتدت دواعي نفسِه إليها من غير خوفٍ من الناسِ عبودية، ونفقتُه في الضراءِ عبودية، ولكن فَرْقٌ عظيمٌ بين العبوديتينِ.

فمن كان عبدًا لله في الحالتينِ، قائمًا بحقِّه في المكروهِ والمحبوبِ، فذلك الذي يتناولُهُ قولُهُ تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦].

فالكفايةُ التامةُ مع العبوديةِ التامةِ، والناقصةُ مع الناقصةِ، فَمَنْ وَجَدَ خيرًا فَلْيَحْمِدِ اللهَ، ومَنْ وَجَدَ غيرَ ذلك فلا يَلُومَنَّ إلَّا نفسَهُ.

وهؤلاء هم عبادُه الذين ليس لعدوِّه عليهم سلطانٌ. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

● ● ● ● ●

[مدار العبودية]

والعبوديةُ مدارُها على قاعدتينِ هما أصلُها: حبٌّ كاملٌ، وذلٌّ تامٌّ. ومنشأُ هذين الأصلينِ عن ذَيْنَك الأصلينِ وهما مشاهدةُ المِنَّةِ التي تورثُ المحبةَ، ومطالعةُ عيبِ النفسِ والعملِ التي تورثُ الذُّلَّ التامَّ، وإذا كان العبدُ قد بنَي سلوكَه إلى الله تعالى على هذين الأصلينِ لم يظفَر عدوُّه به إلا على غِرَّةٍ وغفلةٍ، وما أسرعَ ما يُنْعِشُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ويَجْبُرُهُ ويتداركُه برحمتِه.

● ● ● ● ●

[وسائل استقامةِ القلبِ]

وإنما يستقيمُ له هذا باستقامةِ قلبِه وجوارحِه، فاستقامةُ القلبِ بشيئين:

أحدُهما: أن تكونَ محبةُ الله تعالى تَتَقَدَّمُ عنده على جميع المحابِّ، فإذا تعارَضَ حبُّ الله تعالى وحبُّ غيرِه، سبق حبُّ الله تعالى حبَّ ما سواه، فرتَّبَ على ذلك مقتضاه، وما أَسْهَلَ هذا بالدعوى، وأما أصْعَبَه بالفعلِ، فعند الامتحانِ يُكْرَمُ المرءُ أو يُهانُ.

الأمر الثاني الذي يستقيمُ به القلبُ: تعظيمُ الأمر والنهي، وهو ناشيءٌ عن تعظيم الآمِرِ النَّاهي، فإنَّ الله تعالى ذَمَّ من لا يعظِّمُه ولا يعظِّمُ أمرَهُ ونَهيَهُ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣] قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمةً.

[علامات تعظيم الأوامر]

فعلامةُ التعظيم للأوامر: رعايةُ أوقاتِها وحدودِها، والتفتيشُ على أركانِها وواجباتِها وكمالِها، والحرصُ على تحسينها وفِعْلِها في أوقاتِها، والمسارعةُ إليها عند وجوبها، والحزنُ والكآبةُ والأسفُ عند فَوْتِ حقٍّ من حقوقها، كمن يحزن على فوتِ الجماعةِ، ويعلمُ أنه لو تُقُبِّلَتْ منه صلاتُهُ منفردًا، فإنه قد فاته سبعةٌ وعشرون ضِعفًا، ولو أنَّ رجلًا يعاني البيعَ والشراءَ يفوتُه في صفقةٍ واحدةٍ في بلدِه من غير سفرٍ ولا مشقةٍ سبعةٌ وعشرون دينارًا، لأكل يديه ندمًا وأسفًا، فكيف وكلُّ ضِعْفٍ مما تُضَاعفُ به صلاةُ الجماعةِ خيرٌ من ألفٍ، وألفِ ألفٍ، وما شاءَ الله تعالى، فإذا فَوَّتَ العبدُ عليه هذا الربح خَسِرَ قطعًا.

وكثير من العلماء يقولُ: لا صلاةَ له وهو باردُ القلب، فارغٌ من هذه المصيبة، غيرُ مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمرِ الله تعالى في قلبه.

وكذلك إذا فاته أولُ الوقتِ الذي هو رضوانُ الله تعالى، أو فاته الصفّ الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه، ولو يعلم العبد فضيلتَه لجالدَ عليه، ولكانت قرعة.

وكذلك فوتُ الجمعِ الكثيرِ الذي تضاعفُ الصلاة بكثرتِه وقِلَّته، وكلَّما كَثُرَ الجَمْعُ كان أحبَّ إلى الله عزَّ وجلَّ، وكلَّما بَعُدَتْ الخُطا كانت خطوةٌ تَحُطُّ خطيئةً، وأخرى تَرْفَعُ درجةً.

وكذلك فوتُ الخشوعِ في الصلاةِ، وحضورِ القلب فيها بين يدي الربِّ تبارك وتعالى الذي هو روحُها ولبُّها، فصلاةٌ بلا خشوعٍ ولا حضورٍ، كبدن ميِّتٍ لا روحَ فيه، أفلا يستحي العبدُ أن يهدي إلى مخلوقٍ مثلِه عبدًا ميتًا، أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها، من ملِكٍ أو أمير، أو غيره، فهكذا سواء الصلاةُ الخاليةُ عن الخشوعِ والحضورِ، وجمع الهمَّةِ على الله تعالى فيها بمنزلةِ هذا العبدِ - أو الأمَةِ - الميتِ الذي يريدُ إهداءَه إلى بعض الملوكِ، ولهذا لا يقبلُها الله تعالى منه، وإن أسقطت الفرضَ في أحكام الدنيا، ولا يثيبُه عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقَل منها كما في «السُّنَنِ» و«مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ» وغيره عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**إنَّ العَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاةَ**

وما كُتِبَ له إلّا نِصْفُها، إلّا ثُلُثُها، إلاّ رُبُعُها، إلّا خُمُسُها حتى بَلَغَ عُشْرُها»[1].

وينبغي أن يعلمَ أنَّ سائرَ الأعمالِ تجري هذا المجْرَى، فتفاضُلُ الأعمالِ عندَ الله تعالى بتفاضلِ ما في القلوبِ من الإيمانِ، والإخلاصِ، والمحبةِ وتوابِعِها، وهذا العملُ الكاملُ هو الذي يُكفِّرُ الذنوبَ تكفيرًا كاملًا، والناقصُ بحسبِه، وبهاتين القاعدتين تزولُ إشكالاتٌ كثيرةٌ، وهما: تفاضلُ الأعمالِ بتفاضلِ ما في القلوبِ من حقائقِ الإيمانِ، وتكفيرُ العملِ للسيئاتِ بحسبِ كمالِه ونُقْصَانِه.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

[علامات تعظيم المناهي]

وأمَّا علاماتُ تعظيمِ المناهي: فالحرصُ على التباعد من مظانِّها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبةِ كلِّ وسيلةٍ تقرّب منها، كمن يهربُ من الأماكن التي فيها الصورُ التي تقع بها الفتنةُ خشيةَ الافتتان بها، وأن يدَعَ ما لا بأس به حذرًا مما به بأسٌ، وأن يجانبَ الفضولَ من المباحاتِ خشيةَ الوقوعِ في المكروهاتِ، ومجانبةُ من يجاهرُ بارتكابها ويحسِّنها ويدعو إليها، ويتهاونُ بها، ولا يبالي ما ركِبَ منها، فإنَّ مخالطةَ مِثْلِ هذا داعيةٌ إلى سخطِ الله تعالى وغضبِه، ولا يخالطُه إلَّا مَنْ سَقَطَ من قلبِه تعظيمُ الله تعالى وحُرماتُهُ.

ومن علاماتِ تعظيم الله: أن يغضبَ لله عزَّ وجلَّ إذا انْتُهِكَتْ محارمُهُ، وأن يجدَ في قلبِه حزنًا وكَسْرةً إذا عُصِيَ الله تعالى في أرضِهِ، ولم يُطَعْ بإقامةِ حدودِهِ وأوامرِه، ولم يَسْتَطِعْ هو أن يغيِّر ذلك.

ومن علاماتِ تعظيم الأمرِ والنهي: أن لا يسترسلَ مع الرخصةِ إلى حدٍّ يكونُ صاحبُه جافيًا غيرَ مستقيمٍ على المنهج الوسطِ.

مثال ذلك: أن السُّنَّةَ وردتْ بالإبراد بالظهرِ في شِدَّةِ الحرِّ، فالترخُّصُ الجافي أن يبردَ إلى فواتِ الوقتِ، أو مُقَارَبَةِ خروجِهِ، فيكونُ مترخصًا جافيًا.

ومن هذا: نهيه ﷺ أن يُصلِّيَ الرجلُ بحَضْرَةِ الطعام، أو عند مدافعةِ البولِ

---

(١) أبو داود (٧٩٦).

والغائطِ[١]، لتعلّقِ قلبه من ذلك بما يشوِّشُ عليه مقصودَ الصلاةِ، فلا يحصلُ المرادُ منها، فمن فِقْهِ الرجلِ في عبادتِه أن يُقْبِلَ على شُغْلِهِ فيعملَهُ، ثم يُفْرِغَ قلبَهُ للصلاةِ، فيقومَ فيها وقد فَرَّغَ قلبَهُ لله تعالى، ونَصَبَ وجْهَهُ له، وأقبل بكلِّيتِهِ عليه، فركعتانِ من هذه الصلاةِ يُغْفَرُ للمصلِّي بهما ما تقدّم من ذنبِه. والمقصودُ أنه لا يترخَّصُ ترخصًا جافيًا.

ومن هذا: أن الشِّبَعَ في الأكلِ رخصةٌ غيرُ محرمةٍ، فلا ينبغي أن يجفوَ العبدُ فيها حتى يصلَ به الشِّبعُ إلى حدِّ التُّخَمةِ والامتِلاءِ، فيتطلَّبُ ما يصرفُ به الطعامَ، فيكون همُّهُ بطنَهُ قبلَ الأكلِ وبعدَه، بل ينبغي للعبد أن يَجُوعَ ويَشْبَعَ، وَيَدَعَ الطَّعَامَ وهو يشتهيه، وميزانُ ذلك قولُ النبيِّ ﷺ: «ثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[٢]. فلا يجعلُ الثلاثةَ الأثلاثَ كلَّها للطعامِ وحدَهُ.

وأما تعريضُ الأمرِ والنهي للتشديدِ الغالي، فهو كمن يَتَوَسْوسُ في الوضوءِ مغاليًا فيه حتى يَفوتَ الوقتُ، أو يردِّدَ تكبيرةَ الإحرام إلى أن تَفُوتَهُ مع الإمام قراءةُ الفاتحةِ، أو يكادُ تفوتُه الركعةُ، أو يتشدَّدُ في الورعِ الغالي حتى لا يَأْكُلَ شيئًا من طعامِ عامةِ المسلمين خشيةَ دخولِ الشبهاتِ عليه.

ولقد دخل هذا الورعُ الفاسدُ على بعض العبَّادِ الذين نَقَصَ حظُّهم من العلم، حتى امتنعَ أن يأكلَ شيئًا من بلادِ المسلمينَ، وكان يَتَقَوَّتُ بما يُحمَلُ إليه من بلادِ النصارى، ويبعثُ بالقصْدِ لتحصيلِ ذلك، فأوقعه الجهلُ المُفْرِطُ، والغلوُّ الزائدُ في إساءةِ الظنِّ بالمسلمين، وحُسنِ الظنِّ بالنصارى، نعوذُ بالله من الخِذلان.

فحقيقةُ التعظيم للأمر والنهي: أن لا يُعَارَضَا بترخُّصٍ جافٍ، ولا يُعَرَّضَا لتشديدٍ غالٍ، فإنَّ المقصودَ هو الصراطُ المستقيمُ المُوصِلُ إلى الله عزَّ وجلَّ بسالكِه.

وما أمر الله عزَّ وجلَّ بأمر إلاَّ وللشيطانِ فيه نزغتانِ: إمَّا تقصيرٌ وتفريطٌ، وإمَّا إفراطٌ وغُلُوٌّ، فلا يبالي بما ظَفَر من العبدِ من الخطيئتينِ، فإنه يأتي إلى قلبِ العبدِ فَيَشَامّه،

---

(١) مسلم (٥٦٠).

(٢) الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

فإن وجد فيه تقصيرًا أو فتورًا أو توانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخُطَّةِ، فثبَّطه وأقعدَه، وضربَه بالكسلِ والتواني والفتورِ، وفتَحَ له بابَ التأويلاتِ والرجاءِ وغير ذلك، حتى ربما ترك العبدُ المأمورَ جملةً.

وإنْ وَجَدَ عنده حَذَرًا وَجِدًّا، وتشميرًا ونهضةً، وأَيِسَ أن يأخُذَه من هذا البابِ، أمره بالاجتهادِ الزائدِ، وسوَّلَ له أن هذا لا يكفيك، وهِمَّتُكَ فوقَ هذا، وينبغي لك أن تزيدَ على العاملين، وأن لا ترقُدَ إذا رقدوا، ولا تُفْطِرَ إذا أَفْطَرُوا، وأن لا تفتُرَ إذا فَتَرُوا، وإذا غَسَلَ أحدُهم يديه ووجهَهُ ثلاثَ مراتٍ، فاغْسِل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة، فاغْتَسِلْ أنت لها، ونحو ذلك من الإفراطِ والتعدِّي، فيحمِلُه على الغلوِّ والمجاوزةِ وتعدِّي الصراطِ المستقيمِ، كما يحملُ الأولَ على التقصيرِ دونَه وأن لا يَقْربَهُ. ومقصودُهُ من الرجُلينِ إخراجُهما عن الصراطِ المستقيم: هذا بأن لا يقربَهُ ولا يدنوَ منه؛ وهذا بأن يجاوزَهُ ويتعدَّاهُ. وقد فُتِنَ بهذا أكثرُ الخلقِ، ولا يُنجي من ذلك إلَّا عِلمٌ راسخٌ، وإيمانٌ وقوةٌ على محاربتِه ولزومُ الوسطِ، والله المستعان.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

[العبد بين البلاء والإعانة]

ومن علامات تعظيم الأمرِ والنهي: أن لا يَحْمِلَ الأمْرَ على علَّةٍ تُضْعِفُ الانقيادَ والتسليمَ لأمرِ الله عزَّ وجلَّ؛ بل يُسَلِّمَ لأمرِ الله تعالى وحكمِه، ممتثلًا ما أُمِرَ به، سواءٌ ظهرت له حكمةُ الشرعِ في أمرِه ونهيِه أو لم تظهر، فإن ظهرتْ له حكمةُ الشرعِ في أمرِه ونهيه، حمله ذلك على مزيدِ الانقيادِ بالبذلِ والتسليمِ لأمرِ الله، ولا يحمِلُه ذلك على الانسلاخ منه وتركِه جملةً، كما حمل ذلك كثيرًا من زنادقةِ الفقراءِ والمنتسبينَ إلى التصوفِ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ شَرَعَ الصلواتِ الخمسَ إقامةً لذكرِه، واستعمالًا للقلبِ والجوارحِ واللسانِ في العبوديةِ، وإعطاءَ كلٍّ منها قسطَهُ من العبوديةِ التي هي المقصودُ بخلقِ العبدِ، فوُضِعَتِ الصلاةُ على أكملِ مراتبِ العبوديةِ.

فإنَّ الله سبحانَه وتعالى خلق هذا الآدميَّ، واختاره من بين سائر البَرِيةِ، وجعل قلبَه محلَّ كنوزِه من الإيمانِ والتوحيدِ والإخلاصِ، والمحبةِ والحياءِ، والتعظيمِ والمراقبةِ،

وجعل ثوابَه إذا قَدِمَ عليه أكملَ الثوابِ وأفضلَهُ، وهو النظرُ إلى وجهِه، والفوزُ برضوانِه، ومجاورتِه في جنتِه، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوةِ والغضبِ والغفلةِ، وابتلاه بعدوِّه إبليسَ لا يفترُّ عنه، فهو يدخلُ عليه من الأبوابِ التي هي من نفسِه وطبعِه، فتميلُ نفسُه معه؛ لأنه يدخلُ عليها بما تحبُّ، فَيَتَّفِقُ هو ونفسُه وهواه على العبدِ: ثلاثةٌ مسلَّطُونَ آمِرُونَ، فيبعثون الجوارحَ في قضاءِ وَطَرِهم، والجوارحُ آلةٌ منقادةٌ، فلا يمكنُها إلا الانبعاثُ، فهذا شأنُ هذه الثلاثةِ، وشأنُ الجوارحِ، فلا تزالُ الجوارحُ في طاعتِهم كيف أَمَرُوا وأين يَمَّمُوا. هذا مقتضى حالِ العبدِ، فاقتضت رحمةُ ربِّه العزيزِ الرحيمِ به أن أعانه بجندٍ آخر، وأمدَّه بمددٍ آخر يقاومِ به هذا الجندَ الذي يُريدُ هلاكَهُ، فأرسل إليه رسولَهُ، وأنزل عليه كتابه، وأيَّده بمَلَكٍ كريم يقابلُ عدوَّهُ الشيطانَ، فإذا أمره الشيطانُ بأمرٍ، أمره الـمَلَكُ بأمرِ ربِّهِ، وبيَّنَ له ما في طاعةِ العدوِّ من الهلاكِ، فهذا يلمُّ به مرةً، وهذا مرةً، والمنصورُ من نَصَره الله عزَّ وجلَّ، والمحفوظُ من حَفِظَه الله تعالى.

وجعل له مُقابلَ نفسِه الأمَّارَةِ نفسًا مطمئنةً، إذا أمرته النفسُ الأمَّارةُ بالسوءِ، نَهَتْهُ عنه النفسُ المطمئنَّةُ، وإذا نهتْهُ الأمَّارةُ عن الخيرِ، أمرتْهُ به النفسُ المطمئنَّةُ، فهو يُطِيعُ هذه مرةً، وهذه مرةً، وهو للغالبِ عليه منهما، وربما انقهَرَتْ إحداهما بالكُلِّيَّةِ قهرًا لا تقومُ معه أبدًا، وجعل له مقابلَ الهوى الحاملِ له على طاعةِ الشيطانِ والنفسِ الأمَّارةِ نورًا وبصيرةً، وعقلًا يردُّهُ عن الذَّهَابِ مع الهوى، فكلما أراد أن يذهبَ مع الهوى ناداه العقلُ والبصيرةُ والنورُ: الحذرَ الحذرَ، فإنَّ المهالكَ والمتالفَ بين يديك، وأنت صيدُ الحراميةِ، وقطاعِ الطريقِ إنْ سِرْتَ خَلفَ هذا الدليلِ.

والمقصودُ: أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أمدَّ العبد في هذه المدةِ اليسيرةِ بالجنودِ، والعُدَدِ، والإمدادِ، وبَيَّنَ له بماذا يُحرزُ نفسَه من عدوِّه، وبماذا يَفُكُّ نفسَه إذا أسره.

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه، والترمذيُّ، من حديثِ الحارثِ الأشعَرِيِّ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله سُبْحَانَهُ وتعالى أمَرَ يَحْيى بنَ زكريا ﷺ بخَمْسِ كلماتٍ: أَنْ يَعْمَلَ بها، ويأمُرَ بني إسرائيلَ أن يعمَلُوا بها، وأنَّه كادَ أن يُبطِئَ بها**»، فَقَالَ لَهُ عيسى عليه السَّلامُ: إنَّ الله تعالى أمَرَكَ بخمسِ كلماتٍ لتعملَ بها، وَتَأمُرَ بني إسرائيلَ أن يعمَلُوا بها،

فإمَّا أنْ تَأمُرَهم، وإمَّا أن آمُرَهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أخْشَى إنْ سَبقْتَنِي بها أنْ يُخْسَفَ بي أو أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ يحيى الناسَ في بيتِ المقدسِ، فأمتَلأَ المسجدُ، وَقَعَدُوا على الشُّرَفِ، فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى أمَرَنِي بخَمسِ كلماتٍ أن أعْمَلَهُنَّ، وآمُرَكُمْ أن تَعمَلُوا بهنَّ. أوَّلُهُنَّ: أن تَعبدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بالله كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مالِهِ بِذَهَبٍ أو وَرِقٍ، فقال له: هذه دَارِي، وهذا عَمَلِي، فاعْمَلْ وأدِّ إليَّ، فكان يَعْمَلُ ويُؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِهِ، فأَيُّكُم يَرْضَى أن يَكُونَ عَبْدُهُ كذلك؟ وإنَّ الله أمَرَكُم بالصَّلاةِ، فإذا صَلَّيْتُمْ فلا تَلْتَفِتُوا، فإنَّ الله يَنْصِبُ وَجْهَهُ لوجْهِ عَبْدِهِ في صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وآمُرُكُمْ بالصِّيامِ، فإنَّ مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رجلٍ في عِصَابَةٍ، مَعَهُ صُرَّةٌ فيها مِسْكٌ، فكلُّهم يَعْجَبُ أَو يُعْجِبُهُ رِيحُها، وإنَّ ريحَ الصائم أطْيَبُ عندَ الله تعالى مِنْ ريح المِسْكِ، وآمُرُكُمْ بالصَّدَقَةِ، فإنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العدوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَيْهِ إلى عُنُقِهِ، وقدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فقالَ: أَنَا أَفْتَدِي مِنْكُم بالقليلِ والكثيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ منهم، وآمُرُكُمْ أنْ تَذْكُرُوا الله تعالى، فإنَّ مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رجلٍ خَرَجَ العَدُوُّ في أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فأَحْرزَ نفسَهُ منهم، كذلك العبْدُ لا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إلَّا بِذِكرِ الله تعالى. قال النبيُّ ﷺ: «**وأَنَا آمُرُكُمْ بخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، والطَّاعَةُ، والجِهَادُ، والهِجْرَةُ، والجماعةُ، فإنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَماعَةَ قِيْدَ شِبْرٍ فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنقِهِ إلَّا أنْ يَرْجِعَ، ومَن ادَّعَى دعوى الجاهليةِ، فإنَّه مَنْ جُثَا جَهَنَّم**» فَقَالَ رجلٌ: يا رسولَ الله، وإنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قال: «**وإنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ فادعُوا بِدَعْوَى الله الذي سَمَّاكُم المسلمينَ المؤمنين عِبادَ الله**»[1]. قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

فقد ذكر النبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ العظيمِ الشأنِ – الذي ينبغي لكل مسلم حفظُهُ وتَعَقُّلُه – ما ينجي من الشيطان، وما يحصلُ للعبدِ به الفوزُ والنجاةُ في دنياه وأُخراه.

فذكر **مثل الموَحِّد والمُشرِك: فالموحِّدُ**: كَمَنْ عَمِلَ لسيِّدِهِ في دارِه، وأدَّى لسيِّده ما استعمله فيه، والمشركُ كمن استعمله سيِّدُه في دارِه، فكان يعملُ ويؤدِّي خَراجَهُ وعمَلَه إلى غيرِ سيدِه، فَهَكَذَا المشركُ يعملُ لغيرِ الله تعالى في دارِ الله تعالى، ويتقرَّبُ إلى عدوِّ الله

---

(١) الترمذي (٢٨٦٣).

تعالى بِنِعَمِ الله تعالى.

قال اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦].

● ● ● ● ●

[الشرك أعظمُ دواوينِ الظلمِ]

والظُّلْمُ عند الله عزَّ وجلَّ يَوْمَ القِيامَةِ لَهُ دواوينُ ثلاثةٌ: ديوانٌ لا يَغْفِرُ الله مِنْهُ شيئًا، وهو الشِّرْكُ به، فإنَّ ا لله لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرِكَ به.

وديوانٌ لا يَتْرُكُ الله تعالى مِنْهُ شَيئًا، وهو ظُلْمُ العِبَادِ بَعْضَهُم بَعْضًا، فإنَّ الله تعالى يَسْتَوْفِيهِ كلَّهُ.

وديوانٌ لا يَعْبَأُ الله به شَيئًا، وهو ظُلْمُ العَبْدِ نفسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ.

فإنَّ هذا الدِّيوانَ أخفُّ الدواوينِ وأسرعُها مَحْوًا، فإنه يُمحَى بالتوبةِ والاستغفارِ، والحسناتِ الماحيةِ، والمصائبِ المكفِّرَةِ، ونحو ذلك، بخلافِ ديوانِ الشركِ، فإنه لا يُمحَى إلَّا بالتوحيدِ، وديوانِ المظالم لا يُمحَى إلَّا بالخروجِ منها إلى أربابِها واستحلالِهم منها.

ولـمَّا كان الشركُ أعظمَ الدواوينِ الثلاثةِ عندَ الله عزَّ وجلَّ، حرَّم الجنةَ على أهلِه، فلا يدخلُ الجنةَ نفسٌ مشركةٌ، وإنَّما يدخلُها أهلُ التوحيدِ، فإنَّ التوحيدَ هو مِفْتَاحُ بابِها، فمن لم يكنْ معه مِفْتَاحٌ لم يُفْتَحْ له بابُها، وكذلك إن أَتَى بمفتاحٍ لا أسنانَ له لم يمكن الفتحُ به. وأسنان هذا المفتاح هي: الصَّلاةُ، والصِّيامُ، والزكاةُ، والحجُّ، والجهادُ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ، وصدقُ الحديثِ، وأداءُ الأمانةِ، وصلةُ الرحمِ، وبرّ الوالدين، فأي عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التوحيدِ، وركَّبَ فيه أسنانًا من الأوامر، جاء يوم القيامةِ إلى بابِ الجنةِ معه مِفْتَاحُها الذي لا تُفْتَحُ إلَّا به، فلم يُعِقْهُ عن الفتحِ عائقٌ، اللَّهُمَّ إلَّا أن تكون له ذنوبٌ وخطايا وأوزارٌ لم يذهبْ عنه أثرُها في هذه الدارِ بالتوبةِ والاستغفارِ، فإنَّه يُحْبَسُ عن الجنةِ حتى يَتطَهَّرَ منها، وإنْ لم يُطَهِّرْهُ الموقفُ وأهوالُهُ وشَدَائِدُهُ، فلا بدَّ من دخولِ النارِ ليخرجَ خبثُه فيها، وَيَتَطَهَّرَ من دَرَنِهِ ووسخِه، ثم يخرجَ

منها فيدخُلَ الجنةَ، فإنها دارُ الطيبين لا يدخلُها إلَّا طيبٌ. قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [النحل: ٣٢] وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]، فعقَّبَ دخولَها على الطيبِ بحرفِ الفاء الذي يُؤْذِنُ بأنه سببٌ للدخولِ، أي: بسببِ طيبِكم قيل لكم: ادخلوها.

وأما النار، فإنها دارُ الخبثِ في الأقوالِ والأعمالِ، والمآكلِ والمشاربِ، ودارُ الخبيثينَ، قال الله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٧] فاللهُ تعالى يجمعُ الخبيثَ بعضَه إلى بعضٍ، فيركُمَه كما يُرْكُمُ الشيءُ المتراكِمُ بعضُه إلى بعضٍ، ثم يجعلُه في جهنمَ مع أهلِه، فليس فيها إلَّا خبيثٌ.

ولما كان الناس على ثلاثِ طبقاتٍ: طَيِّبٌ لا يَشِينُهُ خبثٌ، وخبيثٌ لا طِيبَ فيه، وآخرون فيهم خُبثٌ وطِيبٌ، كانت دورُهم ثلاثة: دار الطيِّبِ المَحْضِ، ودارُ الخَبيثِ المحْضِ، وهاتان الدارَانِ لا تفنيانِ، ودارٌ لمن معه خبثٌ وطيبٌ، وهي الدارُ التي تَفْنَى، وهي دارُ العصاةِ، فإنَّه لا يبقى في جهنمَ من عصاةِ الموحدين أحدٌ، فإنهم إذا عُذِّبُوا بقدْرِ جزائِهم أُخرجوا من النارِ، فأُدخِلوا الجنةَ، ولا يبقى إلَّا دارُ الطيبِ المحضِ، ودارُ الخبيثِ المحضِ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

[تعظيم شأن الصلاة]

وقولُهُ في الحَديثِ: «وآمُرُكُمْ بالصلاةِ، فإذا صَلَّيْتُمْ، فَلَا تَلْتَفِتُوا فإنَّ الله يَنْصِبُ وجهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ في صَلاتِهِ ما لم يَلْتَفِتْ».

الالتفاتُ المنهيُّ عنه في الصلاةِ قسمانِ:

أحدُهما: التفاتُ القلب عن الله عزَّ وجلَّ إلى غيرِ الله تعالى.

والثاني: التفاتُ البصرِ، وكلاهما منهيٌّ عنه. ولا يزالُ الله مقبلًا على عبدِه ما دام العبدُ مقبلًا على صلاتِه، فإذا التفتَ بقلبِهِ أو بصرِهِ، أعْرَضَ اللهُ تعالى عنه. وقَدْ سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عن التِفَاتِ الرَّجُلِ في صلاتِهِ فَقَالَ: «هو اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ الْعَبْدِ»[(١)].

والعبدُ إذا قام في الصلاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ منه، فإنَّه قد قام في أعظم مقامٍ، وأقْرَبِهِ وأغْيَظِهِ للشيطانِ، وأشدِّهِ عليه، فهو يَحْرِصُ ويَجْتَهِدُ كلَّ الاجتهادِ أن لا يقيمَه فيه، بل لا يزالُ به يَعِدُهُ ويمنِّيه ويُنْسِيه، ويَجْلِبُ عليه بخيلِه ورَجْلِه حتى يُهوِّنَ عليه شَأنَ الصَّلاةِ، فيتهاونَ بها فيترُكَها.

فإنْ عَجَزَ عن ذلك منه، وعَصَاه العبدُ، وقام في ذلك المقام، أقبل عدوُّ الله تعالى حتى يخطُرَ بينه وبين نفسِه، ويَحُولَ بينه وبين قلبِه، فيُذَكِّرَهُ في الصَّلاةِ ما لم يكن يذكُرُ قبلَ دخولِه فيها، حتى ربما كان قد نَسِيَ الشيءَ والحاجةَ، وأَيِسَ منها، فَيُذَكِّرُهُ إيَّاهَا في الصلاة فيُشْغِلُ قلبَهُ بها، ويأخذُهُ عن الله عزَّ وجلَّ، فيقومُ فيها بلا قلبٍ، فلا ينالُ من إقبالِ الله تعالى وكرامتِه وقربِه ما ينالُه المقبلُ على ربِّه عزَّ وجلَّ، الحاضرُ بقلبه في صلاتِه، فينصرفُ من صلاتِه مِثْلَ ما دخلَ فيها بخطاياه وذنوبِهِ وأثقالِهِ، لم تُخَفَّفْ عنه بالصلاةِ، فإنَّ الصلاةَ إنما تُكَفِّرُ سيئاتِ مَنْ أدَّى حقَّها، وأكملَ خشوعَها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبِه وقالَبِه.

فهذا إذا انصرف منها وَجَدَ خِفَّةً من نفسِه، وأحسَّ بأثقالٍ قد وُضِعَتْ عنه، فوجدَ

---

(١) البخاري (٧٥١).

نشاطًا وراحةً وروحًا، حتى يتمنَّى أنَّه لم يكن خَرَجَ منها؛ لأنَّها قُرَّةُ عينِه ونعيمُ روحِه، وجنَّةُ قلبِهِ، ومُسْتَرَاحُهُ في الدنيا، فلا يزال كأنَّه في سجنٍ وضيقٍ حتى يَدْخُلَ فيها، فيستريحَ بها، لا منها، فالمحبُّونَ يقولون: نصلي فنستريحُ بصلاتِنا، كما قَالَ إمامُهم وقدوتُهم ونبيُّهم ﷺ: «يَا بِلالُ أَرِحْنَا بالصَّلاةِ»[1]، ولَـمْ يَقُلْ: أرِحْنَا مِنْهَا.

وقَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ»[2]. فَمَنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عينِهِ في الصَّلاةِ، فكيف تَقَرُّ عينُهُ بدونها، وكيف يُطِيقُ الصَّبْرَ عنها؟

فصلاةُ هذا الحاضرِ بقلبِهِ الذي قُرَّةُ عينِهِ في الصلاةِ، هي التي تَصْعَدُ ولها نورٌ وبرهانٌ، حتى يَسْتَقْبِلَ بها الرَّحْمَنَ عزَّ وجلَّ، فتقولُ: «حَفِظَكَ الله تعالى كما حَفِظْتَنِي»، وأما صلاةُ الـمُفَرِّطِ الـمُضَيِّعِ لحقوقها وحدودِها وخشوعِها، فإنَّها تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلِقُ، ويُضْرَبُ بها وَجْهُ صَاحِبِها وتقُولُ: «ضَيَّعَكَ الله كما ضَيَّعْتَنِي».

فالصلاةُ المقبولةُ، والعملُ المقبولُ أن يصلِّيَ العَبْدُ صَلاةً تَليقُ بربِّه عزَّ وجلَّ، فإذا كانت صلاةٌ تصلُحُ لربِّه تبارك وتعالى وتليقُ به، كانت مقبولةً.

والمقبولُ من العملِ قسمانِ:

أحدُهما: أن يُصلِّيَ العبدُ ويَعْمَلَ سائرَ الطاعاتِ وقلبُهُ مُتَعَلِّقٌ بالله عزَّ وجلَّ، ذاكرٌ لله عزَّ وجلَّ على الدَّوام، فأعمالُ هذا العبد تُعْرَضُ على الله عزَّ وجلَّ حتى تَقِفَ قُبالَتَهُ، فينظُرَ اللهُ عزَّ وجلَّ إليها، فإذا نَظَرَ إليها رآها خَالِصَةً لوَجْهِهِ مَرْضِيَّةً، وقد صَدَرَتْ عن قلبٍ سليمٍ مُخْلِصٍ محبٍّ لله عزَّ وجلَّ مُتَقَرِّبٍ إليه، أحبَّها وَرَضِيَهَا وَقَبِلَهَا.

والقسم الثاني: أن يَعْمَلَ العبدُ الأعْمالَ على العادةِ والغفلةِ، وَيَنْوِيَ بها الطَّاعةَ والتقرّبَ إلى الله، فأركانُهُ مَشْغُولَةٌ بالطَّاعةِ، وقلبُهُ لاهٍ عن ذكرِ الله، وكذلك سائرُ أعمالِهِ، فإذا رُفِعَتْ أعمالُ هذا إلى الله عزَّ وجلَّ لم تَقِفْ تُجاهَهُ، ولا يَقَعْ نظرُهُ عليها، ولكن تُوضَعُ حيث تُوضعُ دواوينُ الأعمالِ، حتى تُعْرَضَ عليه يَوْمَ القِيامةِ فَتُمَيَّزَ، فيثيبَه على ما كان له

---

(١) أبو داود (٤٩٨٥، ٤٩٨٦).

(٢) النسائي (٣٩٣٩).

منها، ويُردَّ عليه ما لم يُرِدْ وجْهَه به منها.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

مراتب الناس في الصلاة

والنَّاسُ في الصلاة على مراتبَ خمسة:

أحدُها: مرتبةُ الظالمِ لنفسِهِ الـمُفْرِطِ، وهو الذي انتقصَ من وضوئِها ومواقِيتها وحدودِها وأركانِها.

الثاني: مَنْ يحافظُ على مواقيتِها وحدُودِها وأركانِها الظاهرةِ ووضوئِها، لكنه قد ضَيَّعَ مجاهدةَ نفسِهِ في الوسوسةِ، فذهبَ مع الوساوسِ والأفكارِ.

الثالث:مَنْ حافَظَ على حدودِها وأركانِها وجاهدَ نفسَهُ في دفعِ الوساوسِ والأفكارِ، فهو مشغولٌ بمجاهدةِ عدوِّهِ لئلَّا يَسْرِقَ منه صلاتَهُ، فهو في صلاةٍ وجهادٍ.

الرابع: مَنْ إذا قَامَ إلى الصَّلاةِ أكْمَلَ حقوقَها وأركانَها وحدودَها واستغرقَ قلبَه مراعاةَ حدودِها وحقوقِها لئلَّا يُضيِّعَ شيئًا منها، بل همُّهُ كلُّهُ مصروفٌ إلى إقامتِها كما ينبغي وإكمالِها وإتمامِها، قد استغرقَ قلبُه شأنَ الصلاة وعبوديةَ ربِّه تباركَ وتعالى فيها.

الخامس: مَنْ إذا قَام إلى الصلاةِ قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبَهُ ووضَعَهُ بين يدي رَبِّهِ عزَّ وجلَّ، ناظرًا بقلبِهِ إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبتِهِ وعظمتِهِ، كأنه يراه ويشاهدُهُ، وقد اضْمَحَلَّتْ تلك الوَسَاوسُ والخَطَرَاتُ، وارتفعتْ حُجُبُها بينه وبين ربِّه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاةِ أفضلُ وأعظمُ مما بين السماءِ والأرضِ، وهذا في صلاتِهِ مشغولٌ بربه عزَّ وجلَّ قريرُ العينِ به.

فالقسمُ الأولُ مُعَاقَبٌ، والثاني مُحَاسَبٌ، والثالثُ مُكَفَّرٌ عنه، والرابعُ مُثَابٌ، والخامس مُقَرَّبٌ من ربِّه؛ لأنَّ له نصيبًا ممن جُعِلَتْ قُرَّةُ عينِهِ في الصلاةِ، فَمَنْ قَرَّتْ عينُهُ بصلاتِهِ في الدنيا، قَرَّتْ عينُهُ بقربه من ربه عزَّ وجلَّ في الآخرة، وقَرَّتْ عينُهُ أيضًا به في الدنيا، ومَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بالله قَرَّتْ به كلُّ عينٍ، ومَنْ لم تَقَرَّ عينُهُ بالله تعالى تَقَطَّعَتْ نفسُهُ على الدنيا حسراتٍ.

[أقسام القلوب]

وإنَّما يَقْوَى العَبْدُ على حضورِه في الصلاة واشتغالِهِ فيها بربِّه عزَّ وجلَّ إذا قَهَرَ شهوتَهُ وهواه، وإلَّا فقلبٌ قَدْ قَهَرَتْهُ الشَّهوةُ، وأَسَره الهوى، ووَجَدَ الشَّيْطَانُ فيه مَقْعَدًا تَمَكَّنَ فيه، كيف يَخلُصُ من الوساوسِ والأفكارِ؟!

والقلوبُ ثلاثةٌ:

الأول: قلبٌ خالٍ من الإيمان وَجَميعِ الخَيْرِ، فذلك قلبٌ مُظْلِمٌ قد استراح الشيطان من إلقاءِ الوساوسِ إليه؛ لأنَّه قد اتَّخَذَهُ بيتًا ووطنًا، وتحكَّم فيه بما يريدُ، وتمكَّن منه غاية التمكنِ.

الثاني: قَلْبٌ قد اسْتَنَارَ بنورِ الإيمان، وأُوقدَ فيه مِصْباحُه، لكنْ عليه ظلمةُ الشَّهواتِ وعواصِفُ الأهوية، فللشيطانِ هناك إقبالٌ وإدبارٌ ومجالاتٌ ومطالعُ، فالحربُ دُوَلٌ وسِجَالٌ.

وتختلف أحوالُ هذا الصنفِ بالقِلَّةِ والكثرةِ، فمنهم مَنْ أوقاتُ غَلَبَتِهِ لعدوِّهِ أكثرُ، ومنهم مَنْ أوقاتُ غَلَبَةِ عدوِّه لَهُ أكثرُ، ومنهم مَنْ هو تارةً وتارَةً.

الثالث: قلبٌ مَحْشُوٌّ بالإيمان قد استنار بنورِ الإيمانِ، وانقشعت عنه حُجُبُ الشهواتِ، وأقلعتْ عنه تلك الظلماتُ، فَلنورِهِ في قلبِهِ إشراقٌ، ولذلك الإشراقِ إيقادٌ لو دَنَا منه الوسْواسُ احْتَرَقَ به، فهو كالسماءِ التي حُرِسَتْ بالنَّجومِ، فلو دنا منها الشيطانُ يتخطَّاها رُجِمَ فاحْتَرَقَ، وليست السماءُ بأعظمَ حرمةً من المؤمنِ، وحراسةُ الله تعالى له أتمُّ من حراسةِ السماء، والسماء متعبَّدُ الملائكةِ، ومستقرُّ الوحْي، وفيها أنوارُ الطاعاتِ، وقلبُ المؤمنِ مستقرُّ التوحيدِ والمحبةِ والمعرفةِ والإيمانِ، وفيه أنوارُها، فهو حقيقٌ أن يُحْرَسَ ويُحْفَظَ من كيدِ العدوِّ، فلا ينالُ منه شيئًا إلَّا على غِرَّةٍ وغفلةٍ وخَطْفَةٍ.

فقلبٌ خلا من الخيرِ كلِّهِ، وهو قلبُ الكافرِ والمنافقِ، فذلك بيتُ الشيطانِ، قد أحرزَه لنفسِه واستوطَنه واتَّخذه سكنًا ومستقرًّا، فأيُّ شيءٍ يسرقُ منه وفيه خزائنُهُ وذخائرُهُ وشكوكُهُ وخيالاتُهُ ووساوسُهُ؟

وقلبٌ قد امتلأ من جلالِ الله عزَّ وجلَّ وعظمتِهِ ومحبَّتِهِ ومُرَاقَبَتِه والحياءِ منه، فأيُّ شيطانٍ يَجْتَرِئُ على هذا القلبِ؟ وإن أراد سَرِقَةَ شيءٍ منه، فماذا يسرقُ، وغايتُهُ أن يظفَر في الأحايينِ منه بخَطْفَةٍ ونَهْبَةٍ يحصلُ له على غِرَّةٍ من العبدِ وغفلةٍ لا بدَّ له منها، إذ هو بشرٌ، وأحكامُ البشريةِ جاريةٌ عليه من الغفلةِ والسهرِ والذُّهولِ وغلبةِ الطبع.

وقلبٌ فيه توحيدُ الله تعالى ومعرفتُهُ ومحبتُهُ والإيمانُ به والتصديقُ بوعدِهِ ووعيدِهِ، وفيه شهواتُ النفسِ وأخلاقُها ودواعي الهوى والطبعِ.

وقلبٌ بين هذين الدَّاعيين، فمرَّةً يَميلُ بقلبِهِ داعي الإيمانِ والمعرفةِ والمحبةِ لله تعالى وإرادتِه وحدَه، ومرَّةً يميل بقلبِه داعي الشيطانِ والهوى والطباعِ، فهذا القلبُ للشيطانِ فيه مَطْمَعٌ، وله منه مُنَازَلاتٌ وَوَقَائِعُ، ويُعْطِي اللهُ النصرَ لمن يشاء ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. وهذا لا يتمكَّنُ الشيطانُ منه إلَّا بما عنده من سلاحِه، فيدخلُ إليه الشيطانُ، فيجدُ سلاحَه عنده فيأخُذه ويقاتلُه به، فإنَّ أسلحتَهُ هي الشَّهواتُ والشُّبهاتُ والخيالاتُ والأمانيُّ الكاذبةُ، وهي في القلبِ، فيدخُل الشيطانُ فيجدُها عتيدةً فيأخذُها ويصولُ بها على القلبِ، فإنْ كان عند العبد عُدَّةٌ عَتِيدَةٌ من الإيمان تُقاوِمُ تلك العُدَّةَ وتزيدُ عليها، انتصف من الشيطانِ، وإلَّا فالدولةُ لعدوِّهِ عليه، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله. فإذا أَذِنَ العبدُ لعدوِّهِ وَفَتَحَ له بابَ بيتِه وأدخلَهُ عليه ومكَّنَهُ من السلاح يقاتلُهُ به، فهو الملُومُ.

فَنَفْسَك لُـمْ وَلَا تَلُمِ الـمَطَايَا وَمُتْ كَمِدًا فليس لك اعْتِذَارُ

● ● ● ● ●

[حقيقةُ الصيامِ]

قولُهُ ﷺ: «وَآمُرُكُمْ بالصِّيام فإنَّ مَثَلَ ذلك مثلُ رَجُلٍ في عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فيها مِسْكٌ، فكلُّهم يَعْجَبُ أو يُعْجِبُهُ ريحُها، وإنَّ ريحَ الصَّائِمِ أطْيَبُ عندَ الله من ريحِ الـمِسْكِ».

إنَّما مثَّل ﷺ ذلك بصاحب الصُّرَّةِ التي فيها المسكُ؛ لأنَّها مَسْتُورَةٌ عن العيونِ، مخبُوءةٌ تحت ثيابه، كعادةِ حاملِ المسكِ، وهكذا الصائمُ صومُهُ مَسْتُورٌ عن مشاهدةِ الخلقِ، لا تُدْرِكُهُ حواسُّهم، والصائمُ هو الذي صامتْ جوارحُهُ عن الآثامِ، ولسانُه عن الكذبِ والفُحْشِ وقولِ الزورِ، وبطنُه عن الطعامِ والشرابِ، وفرجُه عن الرَّفَثِ، فإنْ تَكَلَّمَ لم يتكلَّمْ بما يَجْرَحُ صومَهُ، وإنْ فَعَلَ لم يَفْعَلْ ما يُفْسِدُ صومَهُ، فيخرجُ كلامُهُ كلُّهُ نافعًا صالحًا وكذلك أعمالُهُ، فهي بمنزلةِ الرائحةِ التي يَشُمُّها من جالسَ حاملَ المسكِ، كذلك مَنْ جَالسَ الصائمَ انتفعَ بمجالستِهِ له، وأَمِنَ فيها من الزُّورِ والكذبِ والفجورِ والظلم.

هذا هو الصومُ المشروعُ، لا مجردُ الإمساكِ عن الطعامِ والشرابِ.

ففي الحديث الصحيح: **«مَنْ لَـمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ به والجَهْلَ، فليس لله حاجةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ»**[1]. وفي الحديث: **«رُبَّ صَائِمٍ حظُّهُ من صيامِهِ الجُوعُ والعَطَشُ»**[2].

فالصومُ هو صومُ الجوارحِ عن الآثام، وصومُ البطنِ عن الشرابِ والطعام، فكما أن الطعامَ والشرابَ يَقْطَعُهُ ويُفْسِدُهُ، فهكذا الآثامُ تقطعُ ثوابَه وتفسدُ ثمرتَهُ، فتصيِّرُهُ بمنزلةِ مَنْ لَـمْ يَصُمْ.

وقد اختُلِفَ في وجودِ هذه الرائحةِ من الصائم، هل هي في الدنيا، أو في الآخرةِ؟ على قولين.

---

(١) البخاري (٦٠٥٧).

(٢) ابن ماجه (١٦٩٠).

وفصلُ النزاعِ في المسألة أن يقال: حيثُ أخبر النبيُّ ﷺ بأن ذلك الطيبَ يكونُ يومَ القيامةِ؛ فلأنَّه الوقتُ الذي يظهر فيه ثوابُ الأعمالِ ومُوجباتُها من الخيرِ والشرِ، فيظهرُ للخلقِ طيبُ ذلك الخُلُوفِ على المسكِ، كما يظهرُ فيه رائحةُ دم المكلوم في سبيلِه كرائحةِ المسكِ، وكما تظهرُ فيه السرائرُ وتبدو على الوجوهِ وتَصيرُ عَلَانِيَةً ويظهرُ فيه قُبْحُ رائحةِ دم الكُفَّارِ وسوادُ وجوهِهم، وحيث أخبر بأنَّ ذلك حين يخلفُ وحين يُمْسُونَ؛ فلأنَّه وقتُ ظهورِ أَثَرِ العبادةِ، ويكون حينئذ طيبها زائدًا على ريح المسكِ عندَ الله تعالى وعندَ ملائكتِه، وإن كانت تلك الرائحةُ كريهةً للعبادِ، فرُبَّ مَكْرُوهٍ عند الناسِ، محبوبٌ عندَ الله تعالى، وبالعكسِ فإنَّ الناسَ يكرهونَهُ لمنافرتِهِ طباعَهم، واللهُ تعالى يستطيبُه ويحبُّهُ لموافقتِهِ أمرَهُ ورضاه ومحبَّتَهُ، فيكونُ عنده أطيبَ من ريح المسكِ عندنا، فإذا كان يومُ القيامة ظهر هذا الطيبُ للعبادِ، وصار عَلَانِيَةً، وهكذا سائرُ آثارِ الأعمالِ من الخيرِ والشرِّ.

وإنما يَكْمُلُ ظُهُورُها ويصيرُ عَلَانِيَةً في الآخرةِ، وقد يَقْوَى العملُ ويتزايدُ، حتى يَسْتَلْزِمَ ظهورَ بعضِ أثرِه على العبدِ في الدنيا في الخيرِ والشرِّ، كما هو مشاهَدٌ بالبصرِ والبصيرةِ.

قال ابنُ عباس: إنَّ للحسنةِ ضياءً في الوجْهِ، ونورًا في القلبِ، وقوَّةً في البَدَنِ، وسَعَةً في الرزق ومحبةً في قلوبِ الخلقِ، وإنَّ للسيئةِ سوادًا في الوجهِ، وظلمةً في القلبِ، وَوَهنًا في البَدَنِ، ونَقْصًا في الرزقِ، وبُغْضَةً في قلوبِ الخلْقِ.

وقال عثمانُ بنُ عفان: ما عَمِلَ رَجُلٌ عملًا إلَّا ألْبَسَهُ الله تعالى رِدَاءَهُ، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ.

وهو أمرٌ معلوم يَشْتَرِكُ فيه وفي العلم به أصحابُ البصائر وغيرُهم، حتى إنَّ الرجلَ البَرَّ الطيّبَ – لتُشَمُّ منه رائحةٌ طيبةٌ وإنْ لم يَمَسَّ طيبًا، فيظهرُ طيبُ رائحةِ روحِه على بدنِه وثيابه، والفاجرُ بالعكسِ، والمزكومُ الذي أصابه الهواءُ لا يشمُّ لا هذا، ولا هذا؛ بل زُكَامُهُ يحمله على الإنكار، فهذا فصلُ الخطابِ في هذه المسألة، واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ بالصوابِ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

[في فضل الصدقة]

وقولُهُ: «وآمُرُكُمْ بالصَّدَقةِ، فإنَّ مَثَلَ ذلك كَمثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العدوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إلى عُنُقِهِ وقدَّمُوهُ ليضرِبُوا عُنُقَهُ، فقال: أنا أَفْتَدِي مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ والكَثيرِ، فَفَدَى نفسَهُ منهم».

هذا أيضًا من الكلام الذي بُرهانُهُ وجودُهُ، ودليلُهُ وقوعُهُ، فإنَّ للصَّدقة تأثيرًا عجيبًا في دفعِ أنواعِ البلاءِ، ولو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ، بل من كافرٍ، فإنَّ الله تعالى يدفَعُ بها عنه أنواعًا من البلاءِ، وهذا أمرٌ معلومٌ عند الناسِ خاصَّتِهم وعامَّتِهم، وأهلُ الأرضِ كُلُّهم مُقِرُّون به؛ لأنَّهم قد جرَّبوه.

وقد رَوَى التِّرمذِيُّ في «جامِعِه» من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ أن النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الصدقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وتَدْفعُ مِيتَةَ السُّوءِ»[1]. وكما أنَّها تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تبَارَكَ وتعالى، فهي تُطْفِئُ الذُّنُوبَ والخَطَايَا كما يُطفِئُ الماءُ النَّارِ.

وفي الترمذي عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ قالَ: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فأَصْبَحْتُ يومًا قريبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقَالَ: «ألا أَدُلُّكَ عَلَى أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ في جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالحينَ»[2]، ثم تَلَا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦].

وفي بَعْضِ الآثارِ: بَاكِرُوا بالصَّدقةِ، فإنَّ البلاءَ لا يَتَخطَّى الصَّدَقَةَ.

وفي تمثيلِ النبيِّ ﷺ ذلك بمَنْ قُدِّمَ ليُضْرَبَ عُنُقُهُ فافتدى نفسَهُ منهم بمالِه كفايةٌ، فإنَّ الصدقةَ تفدي العبدَ من عذابِ الله تعالى، فإنَّ ذنوبَه وخطاياه تقتضي هلاكَهُ، فتجيء الصَّدقةُ تفْدِيه من العذابِ وتفكُّهُ منه.

ولهذا قالَ النبيُّ ﷺ في الحديثِ الصحيح لـمَّا خَطَبَ النساءَ يومَ العيدِ: «يَا مَعْشَرَ

---

(١) الترمذي (٦٦٤).

(٢) الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، فَإِنِّي رَأَيْتُكنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»[١]. وكأنه حَثَّهُنَّ وَرَغَّبَهُنَّ على ما يفْدينَ به أنفُسَهنَّ من النارِ.

وفي «الصحيحينِ» عن عَدِيِّ بنِ حاتم قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أحدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بَينَه وبينه تَرْجُمان، فينظرُ أيْمَنَ منه، فلا يَرَى إلَّا ما قدَّمَ، وينظرُ أَشْأَمَ منه، فلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ، وينظرُ بَيْنَ يديه، فلا يَرَى إلَّا النَّار تِلْقَاءَ وجهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[٢].

وفي حديث أبي ذرٍّ أنَّه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ: مَاذا يُنْجِي العَبْدَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «الإيمانُ بالله»، قُلْتُ: يا نبيَّ الله، مع الإيمانِ عَمَلٌ؟ قَالَ: «أَنْ تَرْضَخ[٣] مِمَّا خَوَّلَكَ الله أَوْ تَرْضَخَ مِمَّا رَزَقَكَ الله»؛ قُلْتُ: يا نبيَّ الله، فإنْ كانَ فقيرًا لا يَجِدُ ما يَرْضَخُ؟ قَالَ: «يأمُرُ بالمعروفِ وينهى عن الـمُنْكَرِ». قُلْتُ: إنْ كان لا يَسْتَطِيعُ أنْ يأمُرَ بالمعروفِ وينهَى عن الـمُنْكَرِ؟ قَالَ: «فَلْيُعِنِ الأخْرَقَ». قُلتُ: يا رَسُولَ الله، أَرَأيْتَ إنْ كانَ لا يُحْسِنُ أن يَصْنَعَ؟ قال: «فلْيُعِنْ مَظْلُومًا». قُلتُ: يا رَسولُ الله، أَرَأَيْتَ إنْ كان ضَعيفًا لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُعِينَ مظلومًا؟ قال: «مَا تُريدُ أنْ تَتركَ في صَاحِبِكَ مِنْ خيرٍ؟ ليُمْسِكْ أَذَاهُ عن الناس»؛ قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إنْ فَعَلَ هذا يَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قالَ: «مَا مِنْ مُؤمِنٍ يُصِيبُ خَصْلَةً من هذه الخِصَالِ إلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ حتَّى أَدْخَلَتْهُ الجَنَّة» ذَكَرَهُ البَيْهَقِيُّ في كِتَابِ «شُعَبِ الإيمانِ»[٤].

وفي الصحيحينِ عن أبي هريرةَ قال: ضربَ رسولُ الله ﷺ مَثَلَ البخيلِ والمتصدقِ، كمثلِ رجُلينِ عليهما جُبَّتانِ من حديدٍ، أو جُنَّتَانِ من حديدٍ، قد اضْطُرَّت أيديهما إلى ثُدِيِّهما وتراقِيهما، فجَعَلَ المتصدِّقُ كلَّما تصدَّق بصدقةٍ انبسطَتْ عنه حتى تَغْشَيَ أنامِلَه وتعفُوَ أثرَه، وجعل البخيلُ كلما همَّ بصدقةٍ، قلَصت، وأَخَذَتْ كلُّ حَلْقَةٍ مكانَها»[٥].

(١) الترمذي (٦٣٥، ٦٣٦). وهو في الصحيحين دون ذكر النار.

(٢) البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٣)ترضخ: تعطي.

(٤)شعب الإيمان (٣٣٢٨) وهو في الصحيحين مختصرًا.

(٥) البخاري (٧٩٩٧)، ومسلم (١٠٢١).

وَرَوَى عن أبي بُرْدَةَ عن أبيهِ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صدقةٌ»، قَالُوا: يا رَسُولَ الله فَمَنْ لَـمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بيدِهِ فَيَنْفَعُ نفسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»، قَالُوا: فإنْ لَـمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحاجةِ الملهوفَ». قالوا: فإنْ لَـمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فليَعْمَلْ بالمعروفِ وليُمْسِكْ عن الشرِّ؛ فإنَّها له صَدَقَةٌ»[1].

ولـمَّا كان البخيلُ محبوسًا عن الإحسانِ، ممنوعًا عن البرِّ والخير، كان جزاؤُهُ من جنسِ عملِه، فهو ضيّقُ الصدرِ، ممنوعٌ من الانشراحِ، ضيّق العَطَنِ[2]، صغيرُ النفسِ، قليلُ الفرحِ، كثيرُ الهم والغم والحزنِ، لا يكادُ تُقضَى له حاجةٌ، ولا يُعانُ على مطلوبٍ.

فهو كرجلٍ عليه جُبَّةٌ من حديدٍ، قد جُمعت يداه إلى عُنقه بحيث لا يتمكنُ من إخراجِها ولا حركتِها، وكلّما أراد إخراجَها، أو توسيعَ تلك الجُبَّةِ لَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ من حِلَقها موضعَها، وهكذا البخيلُ كلَّما أراد أن يتصدقَ منعه بخلُهُ فبقيَ قلبُهُ في سجنِه كما هو، والمتصدِّقُ كلَّما تصدَّقَ بصدقةٍ انشرح لها قلبُهُ، وانفسحَ بها صدرُهُ، فهو بمنزلةِ اتساعِ تلك الجُبَّةِ عليه، فكلما تصدّق اتسعَ وانفسحَ وانشرحَ، وَقَوِيَ فرحُهُ، وعَظُمَ سرورُهُ، ولو لم يكن في الصدقةِ إلَّا هذه الفائدة وحدَها، لكان العبدُ حقيقًا بالاستكثارِ منها والمبادرةِ إليها. وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩، والتغابن: ١٦].

وكان عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ يَطُوفُ بالبيتِ وليس له دَأَبٌ إلَّا هذِهِ الدعوة: ربِّ قِنِي شُحَّ نفسي، ربِّ قِنِي شُحَّ نفسي، فقيلَ لهُ: أَمَا تَدْعُو بغيرِ هذه الدعوةِ؟ فقال: إذا وُقِيتُ شُحَّ نفسي، فقد أفلحتُ.

● ● ● ● ●

---

(١) البخاري (١٤٤٥، ٦٠٢٢)، ومسلم (١٠٠٨).

(٢) ضيق العطن: جزع، لا صبر له ولا حيلة ولا مروءة.

[الفرق بين الشُّحِّ والبخل وحقيقةُ السخاءِ]

والفرق بين الشُّحّ والبخلِ، أنَّ الشحَّ: هو شدةُ الحرصِ على الشيءِ، والإحفاءُ(١) في طلبه، والاستقصاءُ في تحصيلِهِ، وجشعُ النفس عليه، والبخلُ: مَنْعُ إنفاقِهِ بعدَ حصولِهِ وحبُّه وإمساكُه، فهو شحيحٌ قبلَ حصوله، بخيلٌ بعد حصولِهِ، فالبخلُ ثمرةُ الشُّحِّ، والشُّحُّ يدعو إلى البخلِ، والشحُّ كامنٌ في النفسِ، فَمَنْ بَخِلَ فقد أطاع شحَّهُ، ومن لم يبخل فقد عصى شُحَّه ووُقي شرَّه، وذلك هو المفلحُ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦].

والسخيُّ قريبٌ من الله تعالى، ومن خلقِه، ومن أهلِه، وقريبٌ من الجنَّةِ، وبعيدٌ من النَّارِ، والبخيلُ بعيدٌ من الله بعيدٌ من خلقِهِ، بعيدٌ من الجنةِ، قريبٌ من النارِ، فَجُودُ الرجلِ يحببُه إلى أضدادِهِ، وبخلُه يُبَغِّضُهُ إلى أولادِهِ كما قيل:

وَيُظْهِرُ عيبَ المَرْءِ في النَّاسِ بُخْلُهُ ... وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخَاؤُهُ
تَغَطَّ بأَثوابِ السَّخَاءِ فَإنني ... أَرَى كُلَّ عَيْبٍ فالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ
وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا فإنَّما ... يَزِينُ ويُزرِي بالفَتَى قُرنَاؤُهُ
وأَقْلِلْ إِذَا ما اسْطَعْتَ قَوْلًا فإنَّهُ ... إذَا قَلَّ قولُ المرءِ قَلَّ خَطَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مالُ المرءِ قَلَّ صَدِيقُهُ ... وضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ
وأَصْبَحَ لا يَدْرِي وإنْ كَانَ حازِمًا ... أَقُدَّامُهُ خيرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
إذا المرءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقًا لنفسِهِ ... فَنَادِ بِهِ فِي النَّاسِ هذا جزاؤُهُ

وحدُّ السخاء: بَذْلُ ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يُوصِلَ ذلك إلى مُسْتَحِقِّهِ بقدرِ الطاقة.

والسَّخاءُ نوعانِ:

فأشرفُهما: سخاؤُك عما بيدِ غيرِك.

---

(١) الإحفاء: الإلحاح.

والثاني: سخاؤك ببذلِ ما في يدك.

فقد يكون الرجلُ من أسخى الناسِ وهو لا يُعْطِيهم شيئًا؛ لأنَّه سخَا عما في أيديهم، وهذا معنى قولِ بعضِهم: السَّخَاءُ أنْ تكونَ بمالِك متبرِّعًا وعن مالِ غيرِك متورِّعًا.

وفي التِّرمذِيِّ: عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «**السَّخِيُّ قَرِيْبٌ مِنَ الله، قريبٌ مِنَ الجَنَّةِ، قريبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، والبَخِيلُ بعيدٌ مِنَ الله، بعيدٌ مِنَ الجَنَّةِ، بعيدٌ مِنَ النَّاسِ، قريبٌ مِنَ النَّارِ، ولَجَاهلٌ سَخِيٌّ أحبُّ إلى الله تعالى مِنْ عابِدٍ بَخِيلٍ**»[١].

وهو سبحانه وتعالى رحيمٌ يُحِبُّ الرُّحماءَ، وإنما يرحَمُ من عبادِه الرُّحماءَ، وهو سِتِّيرٌ يحبُّ مَنْ يَسْتُرُ على عبادِهِ، وعفوٌّ يُحِبُّ مَنْ يعفو عنهم، وغفورٌ يحب مَنْ يغفرُ لهم، ولطيفٌ يُحِبُّ اللَّطيفَ من عبادِه، ويُبْغِضُ الفظَّ الغليظَ القاسيَ الجَعْظَرِيَّ الجَوَّاظَ[٢]، ورفيقٌ يحبُّ الرفقَ، وحليمٌ يحبُّ الحِلْمَ، وبَرٌّ يُحِبُّ البِرَّ وأهلَهُ، وعَدْلٌ يحب العدْلَ، وقابلُ المعاذيرِ، يُحِبُّ مَنْ يقبلُ معاذيرَ عبادِه، ويجازي عبدَهُ بحسبِ هذه الصفاتِ فيه وجودًا وعدمًا، فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامحَ سامحَه، ومن حاقَقَ[٣] حاققَه، ومن رفَق بعباده رفَق به، ومن رحِم خلقَه رحمه، ومن أحسنَ إليهم أحسنَ إليه، ومن جاد عليهم جادَ عليه، ومن نفعَهم نفعَه، ومن سَتَرَهم سَتَره، ومن صفحَ عنهم صَفَحَ عنه، ومن تتبّع عوراتِهم تتبّع عورتَه، ومن هَتَكَهم هَتَكه وفَضَحَه، ومن منعهم خَيْرَه مَنَعَه خَيْرَه، ومن شَاقَّ الله شاقَّ الله تعالى به، ومن مكَر مَكَر به، ومن خادَعَ خادَعَه، ومن عاملَ خلقَه بصفةٍ عامَلَه اللهُ تعالى بتلك الصِّفةِ بعينِها في الدنيا والآخرةِ. فالله تعالى لعبدِهِ على حسَب ما يكونُ العبدُ لخلقِهِ. ولهذا جاء في الحديث: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ الله تعالى عنه كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يوم القِيامَةِ، ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله تعالى حِسَابَهُ**»[٤]، و«**مَنْ أَقَالَ نادِمًا أقالَ اللهُ تعالى**

---

(١) الترمذي (١٩٦١).

(٢) الجعظري: الفظ الغليظ المتكبر. والجواظ: الجموع المنوع وقيل المتكبر.

(٣) حاقق: خاصم وجادل.

(٤) مسلم (٢٦٩٩).

عَثْرَتَهُ»[١]، و«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ الله تعالى في ظِلِّ عَرْشِهِ»[٢]. لأَنَّهُ لـمَّا جَعَله في ظلِّ الإنظارِ والصبرِ، ونجَّاهُ من حرِّ المطالبةِ، وحرارةِ تكلّفِ الأداء مع عسرتِه وعجزِه، نجاه الله تعالى من حرِّ الشمسِ يومَ القيامةِ إلى ظلِّ العرشِ.

وكذلك الحديثُ الذي في التِّرمذِيِّ وغيرِه، عَنِ النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ في خُطْبَتِهِ يَوْمًا: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ولـمْ يدْخلِ الإيمانُ إلى قَلبِهِ، لَا تُؤْذُوا المسْلِمِينَ، ولَا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فإنَّه مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ ولو في جَوْفِ بيتِهِ»[٣].

فكما تَدينُ تُدان: وكُنْ كَيْفَ شِئْتَ فإنَّ الله تعالى لك كما تكونُ أنتَ لَهُ ولعبادِهِ.

والمقصود أن الكريمَ المتصدِّقَ يعطيه اللهُ ما لا يعطي البخيلَ الممسكَ، ويوسعُ عليه في ذاته، وخلقِه، ورزقِه، ونفسِه، وأسبابِ معيشتِه، جزاءً له من جنسِ عملِه.



---

(١) أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩). وفيها: «مسلمًا».

(٢) مسلم (٣٠٠٦).

(٣) أبو داود (٤٨٨٠)، والترمذي (٢٠٣٢).

[في فضل الذكر]

وقولُهُ ﷺ: «وَآمُرُكُمْ أنْ تَذْكُرُوا الله تعالى، فإنَّ مَثَلَ ذلك مَثَلُ رجلٍ خَرجَ العدوُّ في أثرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى إلى حِصْنٍ حصينٍ، فأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُم، كَذَلِكَ العَبْدُ لا يُحْرِزُ نفسَهُ مِنَ الشَّيطَانِ إلَّا بذكرِ الله»: فلو لم يكن في الذكر إلَّا هذه الخَصلةُ الواحدةُ، لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفترَ لسانُهُ من ذكرِ الله تعالى، وأن لا يزالَ لهجًا بذكرِه، فإنه لا يحرزُ نفسَه من عدوِّه إلا بالذكرِ، ولا يدخل عليه العدوُّ إلا من بابِ الغفلةِ، فهو يرصُدُه، فإذا غَفَلَ وَثَبَ عليه وافترسَهُ، وإذا ذَكَرَ الله تعالى انْخَنَسَ عدوُّ الله وتصاغَر، وانقَمعَ، حتى يكونَ كالوصعِ[1] وكالذُّبابِ، ولهذا سُمِّي الوسواسَ الخناسَ، أي: يوسوسُ في الصدورِ، فإذا ذكر الله تعالى خنسَ، أي: كفَّ وانقبضَ.

وقالَ ابنُ عباسٍ: الشيطانُ جاثمٌ على قلبِ ابنِ آدمَ، فإذا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، فإذا ذَكَر الله تعالى خَنسَ.

وقالَ مُعاذٌ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بخَيْرِ أعْمالِكُمْ وأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وأرْفَعِها في درجاتِكم، وخيرٍ لَكُمْ مِنْ إنفاقِ الذَّهبِ والفِضَّةِ، ومِنْ أنْ تَلْقَوا عدوَّكم فَتَضْرِبوا أعْناقَهُمْ، ويَضْرِبُوا أعناقكم»، قَالُوا: بَلَى يا رسولَ الله، قال: «ذكرُ الله عزَّ وجلَّ»[2].

وفي «صَحِيح مُسْلِم»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يسيرُ في طريقِ مكةَ، فمرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَان، فَقَالَ: «سِيروا هذا جُمْدانُ، سَبَقَ الـمُفَرِّدُونَ». قيلَ: وما الـمُفَرِّدُونَ يا رسولَ الله؟ قال: «الذَّاكِرُون الله كثيرًا والذَّاكِراتُ»[3].

وفي «السنن» عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ

---

(١) الوصع: طائر أصغر من العصفور يقال له: «النغر».

(٢) أحمد (٥/ ٢٣٩). وروي عن أبي الدرداء مرفوعًا كما عند الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٥/ ١٩٥).

(٣) مسلم (٢٦٧٦).

يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ الله تعالى فيه، إلَّا قامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفةِ حِمَارٍ، وكَانَ عَلَيْهِم حَسْرَةً»(١).

وفي «صحيح مسلم»، عن الأغرِّ أبي مُسلم قَالَ: أَشْهَدُ على أبي هريرةَ وأبي سعيدٍ، أنَّهما شَهِدا على رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قالَ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ في مَجْلِسٍ يَذْكُرونَ الله فيه إلَّا حَفَّتْهُم الملائِكَةُ، وغَشِيَتْهم الرَّحْمَةُ، ونَزَلَتْ عليهِمُ السَّكينةُ، وَذَكَرَهُمْ الله فيمَنْ عندَهُ»(٢).

وفي التِّرمِذِيِّ عَنْ عَبْدِ الله بن بُسرٍ أَنَّ رجُلًا قال: يا رسُولَ الله إنَّ أبوابَ الخيرِ كثيرةٌ، وَلَا أَسْتَطيعُ القيامَ بكلِّها، فأخبِرْنِي بشيءٍ أتشَبَّثُ به، ولا تُكْثِر عَلَيَّ فأنسى، وفي رواية: إنَّ شرائعَ الإسلام قد كَثُرَتْ عليَّ، وأنا قد كَبِرْتُ، فأَخْبِرْنِي بشيءٍ أتشبَّثُ بِهِ، قالَ: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ الله تعالى»(٣).

وفي «صحيح البخاري»، عَنْ أبي موسى، عَنِ النبي ﷺ قالَ: «مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ، والذي لا يذكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحيِّ والميِّتِ»(٤).

وفي «الصَّحِيْحَيْنِ» عن أبي هريرةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يقولُ الله تبارك وتعالى: أنا عندَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في ملأٍ، ذَكَرْتُهُ في ملإٍ خَيرٍ مِنْهُمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تقرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وإنْ تقرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تقرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وإذا أتاني يَمْشِي، أتيتُهُ هَرْوَلَةً»(٥).

وفي التِّرمذِيِّ عن أَنَسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ برياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا» قالُوا: يا رسولَ الله، وَمَا رياضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكرِ»(٦).

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا

---

(١) أبو داود (٤٨٥٥).

(٢) مسلم (٢٧٠٠).

(٣) الترمذي (٣٣٧٥) وابن ماجه (٣٧٩٣).

(٤) البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) بنحوه.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٦) الترمذي (٣٥١٠).

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] فأمرهم بالذكرِ الكثيرِ والجهادِ معًا، ليكونوا على رجاءِ من الفلاحِ، وقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] أي: كثيرًا.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ففيه الأمرُ بالذكرِ بالكثرةِ والشدةِ لشدةِ حاجة العبد إليه، وعدمِ استغنائِه عنه طَرفةَ عينٍ، فأيُّ لحظةٍ خَلَا فيها العبدُ عن ذكرِ الله عزَّ وجلَّ كانت عليه، لا له، وكان خُسرانُهُ فيها أعظمَ مما رَبِحَ في غفلتِهِ عن الله.

وقالَ أبو الدرداءِ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ: لكلِّ شيءٍ جِلاءٌ، وإنَّ جِلاءَ القلوبِ ذِكرُ الله عزَّ وجلَّ.

وَذَكَرَ البَيْهَقِيُّ مرفوعًا من حديثِ عبدِ الله بن عُمَرَ رضي الله عنه، عَنِ النبيِّ ﷺ أَنَّه كَانَ يَقُولُ: «**لِكُلِّ شيءٍ صِقَالةٌ، وإنَّ صِقَالةَ القلوبِ ذكرُ الله عزَّ وجلَّ، ومَا مِن شيءٍ أَنجى من عذابِ الله عزَّ وجلَّ مِنْ ذكرِ الله عزَّ وجلَّ**» قَالُوا: ولا الجهَادُ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ؟ قَالَ: «**ولو أن يَضْرِبَ بسيفِهِ حتَّى يَنْقَطِعَ**»[1].

ولا رَيْبَ أنَّ القلب يَصْدَأُ كما يصدأُ النُّحاسُ والفِضَّةُ وغيرُهما، وجِلاؤُهُ بالذكرِ، فإنَّه يجلُوهُ حتى يَدَعَهُ كالمرآةِ البيضاءِ، فإذا تَرَكَ الذِكْرَ صَدِئَ، فإذا ذَكَرَ جَلاهُ.

وصدأُ القلبِ بأمرينِ: بالغفلةِ والذنبِ، وجِلاؤُهُ بِشيئينِ: بالاستغفارِ والذكرِ. فمن كانت الغفلةُ أغلبَ أوقاتِهِ، كان الصدأُ متراكبًا على قلبِه، وصدؤُه بحسبِ غفلتِه، وإذا صَدِئ القلبُ، لم تنطبعْ فيه صورُ المعلوماتِ على ما هي عليه، فيرى الباطلَ في صورةِ الحقِّ، والحقَّ في صورةِ الباطلِ؛ لأنه لـمَّا تراكم عليه الصدأُ أظلَم، فلم تَظْهَرْ فيه صورةُ الحقائقِ كما هي عليه.

(١) البيهقي في الدعوات الكبير (١٨).

فإذا تراكم عليه الصدأُ واسودَّ، وركبه الرَّانُ، فَسَدَ تصوّرُهُ وإدراكُهُ، فلا يقبلُ حقًّا، ولا ينكرُ باطلًا، وهذا أعظمُ عقوباتِ القلبِ. وأصلُ ذلك من الغفلةِ، واتِّباعِ الهوى، فإنَّهما يَطْمِسانِ نورَ القلبِ ويُعْمِيانِ بصرَهُ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

[في فوائدِ الذكرِ]

وفي الذكرِ نحوٌ من مائةِ فائدةٍ:

إحداها: أَنَّهُ يطرُدُ الشيطانَ ويَقْمَعُهُ ويَكْسِرُهُ.

الثانيةُ: أنَّه يُرضي الرَّحْمنَ عزَّ وجلَّ.

الثالثةُ: أنه يُزيلُ الهمَّ والغمَّ عن القلبِ.

الرابعةُ: أنَّه يَجْلِبُ للقلبِ الفرحَ والسرورَ والبسطَ.

الخامسةُ: أنَّه يُقوِّي القلبَ والبَدَنَ.

السادسةُ: أنَّه يُنوِّرُ الوجهَ والقلبَ.

السابعةُ: أنَّه يَجْلِبُ الرزقَ.

الثامنةُ: أنَّه يكسُو الذاكرَ المهابةَ والحلاوةَ والنَّضْرَةَ.

التاسعةُ:أنَّه يُورِثُهُ المحبةَ التي هي روحُ الإسلام، وقطبُ رحى الدينِ، ومدارُ السعادةِ والنَّجاةِ.

العاشرةُ: أنَّه يُورِثُهُ المراقبةَ حتى يُدْخِلَهُ في باب الإحسانِ، فيعبدُ الله كأنَّه يراهُ، ولا سبيلَ للغافلِ عن الذكرِ إلى مقامِ الإحسانِ، كما لا سبيلَ للقاعدِ إلى الوصولِ إلى البيتِ.

الحاديةَ عشرةَ: أنَّه يُورِثُهُ الإنابةَ، وهي الرجوعُ إلى الله عزَّ وجلَّ.

الثانية عشرةَ: أَنَّه يُورِثُهُ القُرْبَ منه، فعلى قَدْرِ ذكرِهِ لله عزَّ وجلَّ يكونُ قربُهُ منه، وعلى قَدْرِ غفلتِهِ يكونُ بُعْدُهُ منه.

الثالثة عشرةَ: أَنَّه يَفْتَحُ له بابًا عظيمًا من أبوابِ المعرفةِ، وكُلَّما أكثر من الذكرِ ازداد من المعرفةِ.

الرابعة عشرةَ: أَنَّه يُورِثُهُ الهيبةَ لربِّه عزَّ وجلَّ وإجلالَه، لشدةِ استيلائِه على قلبِه وحضورِه مع الله تعالى، بخلافِ الغافلِ، فإنَّ حجابَ الهيبةِ رقيقٌ في قلبِه.

الخامسة عشرةَ: أَنَّه يُورِثُهُ ذِكْرَ الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢] ولو لم يكن في الذكر إلَّا هذه وحدَها لكفى بها فضلًا وشرفًا.

السادسة عشرةَ: أَنَّه يُورِثُ حياةَ القلبِ، وسمعتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيميةَ قدَّسَ الله تعالى روحَهُ يقولُ: الذكرُ للقلبِ مثلُ الماءِ للسمكِ، فكيف يكون حالُ السمكِ إذا فارقَ الماءَ؟

السابعة عشرةَ: أَنَّه قُوتُ القلبِ والروحِ، فإذا فَقَدَهُ العبدُ صارَ بمنزلةِ الجسم إذا حيل بينه وبين قوتِهِ.

الثامنة عشرةَ: أَنَّه يُورِثُ جِلاءَ القلبِ من صَدَئِهِ.

التاسعة عشرة: أنه يَحُطُّ الخطايا ويُذْهِبُها، فإنَّه من أعظمِ الحسناتِ، والحسناتُ يُذْهِبْنَ السيئاتِ.

العشرون: أنه يُزيلُ الوحشةَ بين العبد وبين ربِّه تبارك وتعالى.

الحادية والعشرون: أنَّ ما يذكرُ به العبدُ ربَّهُ عزَّ وجلَّ من جلالِه وتسبيحِه وتحميدِه، يُذَكِّرُ بصاحبِه عند الشدةِ، فقد رَوَى الإمامُ أحمدُ رضِيَ الله عنه في «المُسْنَدِ» عَنِ النبيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: **«إنَّ ما تَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ الله عزَّ وجلَّ مِنَ التَّهْلِيلِ والتَّكْبِيرِ والتَّحْمِيدِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ العَرْشِ لهنَّ دَوِيٌّ كدويِّ النَّحْلِ يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ، أفلا يُحِبُّ**

أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ما يُذْكَرُ به»[1]. هذا الحديث أو معناه.

الثانيةُ والعشرون: أنَّ العبدَ إذا تعرَّفَ إلى الله تعالى بذكرِه في الرخاءِ، عرفَه في الشدةِ.

الثالثةُ والعشرون: أنه منجاةٌ من عذابِ الله تعالى، كما قال مُعاذٌ رضي الله عنه. ويُروى مرفوعًا: «ما عَمِلَ آدميٌّ عَمَلًا أنجَى له من عذابِ الله عزَّ وجلَّ مِنْ ذِكْرِ الله تعالى»[2].

الرابعةُ والعشرون: أنَّه سببُ نزولِ السكينةِ، وغشيانِ الرَّحمةِ، وحفوفِ الملائكةِ بالذاكرِ كما أخبر به النبيُّ ﷺ[3].

الخامسة والعشرون: أنَّه سببُ اشتغالِ اللِّسانِ عن الغِيبةِ، والنميمةِ، والكذبِ، والفُحْشِ، والباطلِ.

السادسةُ والعشرون: أنَّ مجالسَ الذكرِ مجالسُ الملائكةِ، ومجالسَ اللَّغوِ والغفلةِ مجالسُ الشياطين، فليتخيَّرِ العبدُ أعجبَهما إليه، وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرةِ.

السابعةُ والعشرون: أنه يَسْعَدُ الذاكرُ بذكرِه، ويسعدُ به جليسُه، وهذا هو المبارك أين ما كان، والغافلُ واللاغي يَشْقَى بلغوِه وغفلتِه، ويشقَى به مُجالِسُه.

الثامنةُ والعشرون: أنه يُؤَمِّنُ العبدَ من الحسرةِ يومَ القيامةِ، فإنَّ كلَّ مجلسٍ لا يذكرُ العبدُ فيه ربَّهُ تعالى كان عليه حسرةً وتِرةً[4] يومَ القيامةِ.

التاسعةُ والعشرون: أنَّه مع البكاء في الخَلْوةِ سببٌ لإظلالِ الله تعالى العبدَ يومَ الحرِّ الأكبرِ في ظلِّ عرشِهِ.

الثلاثون: أنَّ الاشتغالَ به سببٌ لعطاءِ الله للذاكرِ أفضلَ ما يُعطي السائلينَ.

(١) أحمد (٤/ ٢٦٨، ٢٧١)، وابن ماجه (٣٨٠٩).

(٢) أحمد (٥/ ٢٣٩).

(٣) مسلم (٢٧٠٠).

(٤) ترة: نقص.

الحادية والثلاثون: أنَّه أيسرُ العباداتِ، وهو من أَجَلِّها وأفضلِها.

الثانية والثلاثون: أنه غِراسُ الجنةِ.

وفي الترمذيِّ من حديثِ أبي الزُّبيرِ، عن جَابرٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ»[1] قَالَ الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الثالثة والثلاثون: أنَّ العَطاءَ والفَضْلَ الذي رُتِّبَ عليه لم يُرتَّبْ على غيرِهِ من الأعمالِ.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إلهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الـمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وهُوَ على كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، في يومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كانت لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وكُتِبَتْ لهُ مائةُ حسنةٍ، ومُحِيَتْ عنه مائةُ سَيِّئَةٍ، وكانتْ لهُ حِرْزًا من الشيطان يَوْمَهُ ذلكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَـمْ يأتِ أحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، ومَنْ قَالَ: سُبْحانَ الله وَبِحَمْدِهِ في يومٍ مائةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وإنْ كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[2].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لأنْ أَقُولَ: سُبْحانَ الله والحَمْدُ لله، وَلَا إله إلا اللهُ، والله أَكْبَرُ، أَحَبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ»[3].

وفي الترمذيِّ عن ثَوْبَانَ، أنَّ رسولَ الله قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي وإِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بالله رَبًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، كَانَ حَقًّا على الله أنْ يُرْضِيَهُ»[4].

وفي الترمذي: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فقالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لهُ، لَهُ الـمُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ يُحْيِي ويُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بيدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ ألفَ ألْفِ حسنَةٍ، ومَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»[5].

---

(١) الترمذي (٣٤٦٤، ٣٤٦٥).

(٢) البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٣) مسلم (٢٦٩٥).

(٤) الترمذي (٣٣٨٩)، وأبوداود (٥٠٧٢)، وابن ماجه (٣٨٧٠).

(٥) الترمذي (٣٤٢٨)، وابن ماجه (٢٢٣٥).

الرابعة والثلاثون: أنَّ دوام ذكرِ الربِّ تبارك وتعالى يُوجِبُ الأمانَ من نسيانِه الذي هو سببُ شقاءِ العبدِ في معاشِهِ ومَعَادِهِ، فإنَّ نسيانَ الربِّ سبحانه وتعالى يُوجِبُ نسيانَ نفسِهِ ومصالِحِها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

وإذا نسي العبدُ نفسَهُ، أعرضَ عن مصالِحِها ونَسِيَها، واشتغلَ عنها، فهلَكَتْ وفسدَتْ ولا بدَّ، كمَنْ له زَرْعٌ أو بستانٌ أو ماشيةٌ أو غيرُ ذلك مما صلاحُهُ وفلاحُهُ بتعاهُدِه والقيامِ عليه، فأهملَه ونسِيَه، واشتغلَ عنه بغيرِه، وضيَّع مصالحَهُ، فإنَّه يفسُدُ ولا بدّ.

ولو لم يكن في فوائدِ الذكرِ وإدامتِه إلَّا هذه الفائدةُ وحدَها، لكفَى بها، فمن نَسِيَ اللهَ تعالى أنساهُ نفسَهُ في الدنيا، ونَسِيَه في العذابِ يومَ القيامةِ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦]، أي: تُنسى في العذابِ كما نسيتَ آياتِنا، فلم تذكُرْها ولم تعملْ بما فيها.

وكان بعضُ العارفينَ يقولُ: لو عَلِمَ الـمُلوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نَحْنُ فيه، لجَالدُونا عليه بالسيوفِ.

وقال آخر: مساكينُ أهلِ الدنيا، خَرَجُوا مِنْها وما ذَاقُوا أطيبَ ما فيها؟

قيل: وما أطيبُ ما فيها؟ قَالَ: محبَّةُ الله تعالى ومعرفتُهُ وذِكْرُهُ، أو نحوُ هذا.

فمحبةُ الله تعالى، ومعرفتُهُ، ودوامُ ذكرِه، والسكونُ إليه، والطمأنينةُ إليه، وإفرادُهُ بالحبِّ، والخوفِ، والرجاءِ، والتوكلِ، والمعاملةِ، بحيث يكونُ هو وحدَه المستولي على هموم العبدِ وعَزَماتِه وإرادتِه، هو جَنَّةُ الدنيا، والنعيمُ الذي لا يُشْبِهُهُ نَعِيمٌ، وهو قُرَّةُ عينِ المحبِّينَ، وحياةُ العارفينَ.

وإنَّما تَقَرُّ أعينُ الناسِ بهم على حَسَبِ قُرَّةِ أعينِهم بالله عزَّ وجلَّ، فمَنْ قَرَّتْ عينُهُ

بالله، قَرَّتْ به كلُّ عينٍ، ومَنْ لَـمْ تَقَرَّ عينهُ بالله، تقطَّعتْ نفسُهُ على الدنيا حسراتٍ.

الخامسةُ والثلاثون: أنَّ الذكرَ يسيِّرُ العبدَ وهو قاعدٌ على فراشِه، وفي سوقِه، وفي حالِ صحتِه وسقمِه، وفي حالِ نعيمِه ولذتِه، ومعاشِهِ وقيامِهِ، وقعودِهِ واضطجاعِهِ، وسفرِه وإقامتِه، فليس في الأعمالِ شيءٌ يعمُّ الأوقاتِ والأحوالَ مثلُه، حتى إنَّه يسيِّرُ العبدَ وهو نائمٌ على فراشِه، فيسبِقُ القائمَ مع الغفلةِ، فيصبحُ هذا النائمُ وقد قطعَ الركبَ وهو مستلقٍ على فراشِه، ويصبحُ ذلك القائمُ الغافلُ في ساقةِ الركبِ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ.

السادسة والثلاثون: أنَّ الذِّكر نورٌ للذاكرِ في الدنيا، ونورٌ له في قبرِه، ونورٌ له في معادِه، يسعى بين يديه على الصراطِ، فما استنارتِ القلوبُ والقبورُ بمثلِ ذكرِ الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فالأولُ هو المؤمنُ استنارَ بالإيمانِ بالله ومحبَّتِهِ ومعرفتِهِ وذكرِه، والآخَرُ هو الغافلُ عن الله تعالى، الـمُعْرِضُ عن ذكرِه ومحبتِه، والشَّأنُ كلُّ الشأنِ، والفلاحُ كلُّ الفلاحِ، في النورِ، والشَّقاءُ كلُّ الشَّقاءِ في فواتِهِ.

ولهذا كانَ النبيُّ ﷺ يُبالِغُ في سُؤالِ ربِّهِ تبارك وتعالى حينَ يَسْأَلُهُ أنْ يَجْعَلَهُ في لحمِهِ، وعظامِهِ، وعَصَبِهِ، وشَعْرِهِ، وبشَرِه، وسَمْعِهِ، وبَصَرِهِ، ومِنْ فوقِه، ومِنْ تحتِهِ، وعن يمينِه، وعن شمالِهِ، وخلفَه، وأمامَه، حتى يَقُولَ: «**واجْعَلني نُورًا**»[1] فَسَأَلَ ربَّهُ تبارك وتعالى أنْ يَجْعَلَ النُّورَ في ذاتِهِ الظاهرةِ والباطنةِ، وأن يجعلَهُ محيطًا به مِنْ جميعِ جهاتِهِ، وأن يجعلَ ذاتَهُ وجملتَهُ نورًا.

فدينُ الله عزَّ وجلَّ نورٌ، وكتابُهُ نورٌ، ورسولُهُ نورٌ، ودارُهُ التي أعدَّها لأوليائِهِ نورٌ يتلألأُ، وهو تبارك وتعالى نورُ السماواتِ والأرضِ، ومن أسمائِه النورُ، وأَشْرَقَتِ الظلماتُ لنُورِ وجهِهِ.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

---

(١) مسلم (٧٦٣).

وقد ضَرَبَ الله سبحانه وتعالى لنوره في قلبِ عبدِه مثلًا لا يعقِلُه إلّا العالمون، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

قال أُبيُّ بن كعب: مَثَلُ نورِهِ في قَلْبِ المسلمِ.

وهذا هو النور الذي أودَعَه في قلبِه من معرفتِه ومحبتِه والإيمانِ به، وذكرِه، وهو نورُه الذي أنزلَه إليهم، فأحياهم به، وجعلَهم يمشون به بين الناسِ، وأصلُه في قلوبِهم، ثم تقوى مادتُه، فتتزايدُ حتى يظهرَ على وجوهِهم وجوارِحهم وأبدانِهم، بل وثيابِهم ودورِهم، يُبْصِرُهُ مَنْ هو من جنسِهم، وسائرُ الخلقِ له منكرون، فإذا كان يومُ القيامةِ بَرَزَ ذلك النُّورُ، وصار بأيْمانِهم يَسْعَى بين أيديهم في ظلمةِ الجسرِ حتى يقطعوه، وهم فيه على حسبِ قوتِه وضعفِه في قلوبِهم في الدنيا، فمنهم مَنْ نورُهُ كالشمسِ، وآخرُ كالقمرِ، وآخرُ كالنَّجم، وآخرُ كالسِّراجِ، وآخرُ يُعْطَى نورًا على إبهامِ قدمِهِ، يُضيءُ مرةً، ويُطْفَأُ أخرى، إذا كانت هذه حالُ نورِه في الدنيا، فأعطي على الجسر بمقدارِ ذلك، بل هو نفسُ نورِه ظَهَر له عِيَانًا، ولما لم يكن للمنافقِ نورٌ ثابتٌ في الدنيا، بل كان نورُهُ ظاهرًا، لا باطنًا، أُعطي نورًا ظاهرًا مآلُهُ إلى الظلمةِ والذهابِ.

والمقصودُ: أنَّ الذكرَ ينوِّرُ القلبَ والوجهَ والأعضاءَ، وهو نورُ العبدِ في دنياه، وفي البرزخِ، وفي يوم القيامةِ.

وعلى حسبِ نور الإيمانِ في قلب العبد، تَخْرُجُ أعمالُهُ وأقوالُهُ، ولها نورٌ وبرهان، حتى إنَّ من المؤمنينَ مَنْ يكونُ نورُ أعمالِهِ إذا صَعِدَتْ إلى الله تبارك وتعالى كَنُورِ الشمسِ، وهكذا نورُ روحِهِ إذا قَدِمَ بها على الله عزَّ وجلَّ، وهكذا يكونُ نورُهُ الساعي بين يديه على الصراطِ، وهكذا يكونُ نورُ وجهِهِ في يوم القيامةِ، واللهُ تعالى المستعانُ وعليه الاتكالُ.

السابعةُ والثلاثون: أنَّ الذكرَ رأسُ الأمور، وطريقُ عامَّةِ الطائفةِ، ومنشورُ الولايةِ،

فمَنْ فُتِحَ له فيه فَقَدْ فُتِحَ له بابُ الدخولِ على الله عزَّ وجلَّ، فليتطَهَّرْ وليدخُلْ على ربِّه عزَّ وجلَّ يجد عنده كلَّ ما يريدُ، فإنْ وَجَدَ ربَّهُ عزَّ وجلَّ وَجَدَ كلَّ شيءٍ، وإنْ فاته ربُّهُ عزَّ وجلَّ فاتَهُ كلُّ شيءٍ.

الثامنةُ والثلاثون: أنَّ في القلبِ خَلَّةً وفاقَةً لا يسدُّها شيءٌ ألبتةَ إلَّا ذكرُ الله عزَّ وجلَّ، فإذا صار الذكرُ شعارَ القلبِ، بحيث يكون هو الذاكرُ بطريقِ الأصالةِ، واللسانُ تَبَعٌ له، فهذا هو الذكرُ الذي يَسدُّ الخَلَّةَ، ويَفْني الفاقةَ، فيكون صاحبُهُ غنيًا بلا مالٍ، عزيزًا بلا عشيرةٍ، مهيبًا بلا سلطانٍ، فإذا كان غافلًا عن ذكرِ الله عزَّ وجلَّ، فهو بضدِّ ذلك، فقيرٌ مع كثرةِ جِدَتِه[١]، ذليلٌ مع سلطانه، حقيرٌ مع كثرةِ عشيرتِه.

التاسعة والثلاثون: أنَّ الذكر يَجْمَعُ المتفرِّقَ، ويفرِّقُ المجتمعَ، ويقرِّبُ البعيدَ، ويُبْعِدُ القريب.

فيجمع ما تفرَّقَ على العبدِ من قلبِه وإرادتِه، وهمومِهِ وعزومِه[٢]، والعذابُ كلُّ العذابِ في تفرقتِها وتشتُّتِها عليه، وانفراطِها له، والحياةُ كلُّ الحياةِ والنعيمُ في اجتماعِ قلبِه وهمِّه، وعزمِهِ وإرادتِهِ.

ويُفَرِّقُ ما اجتمع عليه من الهمومِ، والغمومِ، والأحزانِ، والحسراتِ على فَوْتِ حظوظِه ومطالبِه ويُفَرِّقُ أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبِه وخطاياه وأوزارِه، حتى تتساقطَ عنه وتتلاشَى وتضمحلَّ. ويفرِّقُ أيضًا ما اجتمع على حربه من جندِ الشيطانِ.

وأمَّا تقريبُهُ البعيدَ، فإنَّه يقرِّبُ إليه الآخرةَ التي يُبْعِدُها منه الشيطانُ والأملُ، فلا يزال يَلْهَجُ بالذكرِ حتى كأنَّه قد دَخَلَها وحَضَرَها، فحينئذ تَصْغُرُ في عينِه الدنيا، وتَعْظُمُ في قلبِه الآخرةُ.

ويُبعد القريبَ إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرةِ، فإنَّ الآخرةَ متى قَرُبَتْ من قلبِه بَعُدَتْ منه الدنيا، كلَّما قَرُبَ من هذه مرحلةً بَعُدَ مِنْ هذه مرحلةً، ولا

(١) جدته: غناه.

(٢) عزومه: ضعفه.

سبيلَ إلى هذا إلَّا بدوامِ الذكرِ واللهُ المستعان.

الأربعون: أنَّ الذكرَ يُنَبِّهُ القلبَ من نومِهِ، ويُوقِظُهُ من سِنَتِه، والقلبُ إذا كان نائمًا فاتَتْهُ الأرباحُ والمتاجِرُ، وكان الغالبُ عليه الخسرانُ، فإذا استيقظَ وعَلِمَ ما فاتَهُ في نومتِهِ شَدَّ المئزرَ، وأحيا بقيةَ عمُرِهِ، واستدرك ما فاتَهُ، ولا تحصلُ يقظتُهُ إلَّا بالذكرِ، فإنَّ الغفلةَ نومٌ ثقيلٌ.

الحاديةُ والأربعون: أنَّ الذكرَ شجرةٌ تُثْمِرُ المعارفَ والأحوالَ التي شَمَّرَ إليها السالكونَ، فلا سبيل إلى نيْلِ ثمارِها إلَّا من شجرةِ الذكرِ.

الثانية والأربعون: أنَّ الذاكرَ قريبٌ مِنْ مَذْكُورِهِ، ومذكورُهُ معه، وهذه المعيَّةُ معيَّةٌ خاصَّةٌ غيرُ معيةِ العلمِ والإحاطةِ العامَّةِ، فهي معيَّةٌ بالقُرْبِ والولايةِ والمحبةِ والنُّصْرَةِ والتوفيقِ، كقولِه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]. وللذاكر من هذه المعيَّةِ نصيبٌ وافرٌ، كما في الحديثِ الإلهي: «**أَنَا مَعَ عَبْدِي ما ذَكَرَنِي وتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**»[(١)].

الثالثةُ والأربعون: أنَّ الذكرَ يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقابِ، ونفقةَ الأموالِ، والحملَ على الخيلِ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ، ويَعْدِلُ الضربَ بالسيفِ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ، وقد تقدَّمَ أنَّ مَنْ قالَ في يومٍ مائةَ مرةٍ: «**لَا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، له الـمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدير، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقابٍ، وكُتِبَتْ لَهُ مائةُ حَسَنَةٍ، ومُحِيَتْ عَنْهُ مائةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يومَهُ ذلك حَتَّى يُمْسِي...**»[(٢)] الحديث.

وقال ابن مسعود: لأنْ أُسبِّحَ الله تعالى تسبيحاتٍ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أُنفقَ عددَهُنَّ دنانيرَ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ.

وقد تقدَّم حديثُ أبي الدرداءِ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بخيرِ أعمالِكُمْ،**

---

(١) البخاري (٧٥٢٤) معلقًا، ورواه موصولًا ابن ماجه (٣٧٩٢)، وأحمد (٢/ ٥٤٠).

(٢) البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

وأزْكَاهَا عندَ مَلِيككُمْ وأرْفَعِهَا في درجاتِكم، وخيرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الوَرِقِ والذهبِ، وخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أن تَلقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أعْنَاقَهم، ويَضْرِبُوا أعناقَكم»؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله. قَالَ: «ذِكْرُ الله»[1] رواه ابنُ ماجه والترمذيُّ، وقَالَ الحاكمُ: صحيحُ الإسنادِ.

الرابعةُ والأربعونَ: أنَّ الذكرَ رأسُ الشكرِ، فما شَكَرَ اللهَ تعالى من لم يَذْكُرْهُ.

قالت عائشةُ: «كان رسولُ الله ﷺ يَذْكُرُ اللهَ تعالى على كلِّ أحيانِهِ». ولم تَسْتَثْنِ حالةً من حالِه، وهذا يدُلُّ على أنَّه كان يذكرُ ربَّه تعالى في حالِ طَهَارتِهِ وجنابَتِهِ. وأمَّا في حالِ التخلِّي، فلم يكنْ يُشَاهِدُهُ أحدٌ يحكي عنه، ولكن شَرَعَ لأمتِهِ من الأذكارِ قبل التخلِّي وبعدَه ما يدل على مزيدِ الاعتناءِ بالذكرِ، وأنَّه لا يُخِلُّ به عند قضاءِ الحاجةِ وبعدها، وكذلك شَرَعَ لأمتِهِ من الذكرِ عندَ الجماعِ أنْ يقولَ أحدُهم: «بسمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»[2].

وقالَ عبدُ الله بنُ أبي الهذيل: «إنَّ الله تعالى ليُحِبُّ أن يُذْكَرَ في السُّوقِ، ويُحِبُّ أن يُذْكَرَ على كُلِّ حالٍ، إلَّا على الخَلاءِ».

وقال النبيُ ﷺ لمُعَاذ: «وَالله يَا مُعَاذُ إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَلَا تَنْسَ أنْ تَقُول دُبَرَ كلِّ صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي على ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[3].

فجمع بين الذِّكْرِ والشُّكْرِ، كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] فالذكرُ والشكرُ جِماع السعادةِ والفلاحِ.

الخامسة والأربعونَ: أنَّ أكرمَ الخلقِ على الله تعالى من المتقينَ من لا يزالُ لسانُهُ رَطْبًا بذكرِهِ، فإنَّه اتَّقاهُ في أمرِه ونهيِه، وجعَلَ ذكرَهُ شعارَهُ.

فالتقوى أوجبت له دخولَ الجنةِ والنجاةَ من النار، وهذا هو الثوابُ والأجرُ.

---

(١) الترمذي (٣٣٧٤)، وابن ماجه (٣٧٩٠).

(٢) البخاري (٣٢٧١)، ومسلم (١٤٣٤).

(٣) أبو داود (١٥٢٢).

والذِّكرُ يُوجِبُ له القُرْبَ من الله عزَّ وجلَّ والزُّلفى لديه، وهذه هي المنزلةُ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

[أقسام عمَّال الآخرة]

وعُمَّالُ الآخرةِ على قسمين: منهم من يَعْمَلُ على الأجرِ والثوابِ، ومنهم مَنْ يعملُ على المنزلةِ والدرجةِ، فهو ينافسُ غيرَهُ في الوسيلةِ والمنزلةِ عند الله تعالى، ويسابقُ إلى القُرْبِ منه، وقد ذَكَرَ الله تعالى النَّوعينِ في سورةِ الحديدِ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١٨]، فهؤلاءِ أصحابُ الأجورِ والثوابِ، ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديد: ١٩] فهؤلاءِ أصحابُ المنزلةِ والقربِ ثم قال: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [الحديد: ١٩] فقيل: هذا عطفٌ على الخبرِ عن ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ ﴾، أخبر عنهم بأنهم هم الصِّدِّيقونَ، وأنهم الشهداءُ الذين يشهدون على الأممِ، ثم أخبر عنهم بخبرٍ آخر، وهو قولُه تعالى: ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾، فيكون قد أخبر عنهم بأربعةِ أمورٍ:

أنهم صِدِّيقون، وشهداءُ، فهذه هي المرتبةُ والمنزلةُ، قيل: تَمَّ الكلامُ عند قوله تعالى: ﴿ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾، ثم ذكر بعد ذلك حالَ الشهداء فقال: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾، فيكونُ قد ذكر المتصدِّقينَ أهلَ البر والإحسانِ، ثم المؤمنين الذين قد رَسَخُ الإيمانُ في قلوبهم وامتلؤوا منه، فهم الصِّدِّيقون، وهم أهلُ العلمِ والعملِ، والأوَّلُون أهلُ البرِّ والإحسانِ، ولكنَّ هؤلاءِ أكملُ صدِّيقيَّةً منهم.

ثم ذكر سبحانه الشهداءَ، وأنه تعالى يُجري عليهم رزقَهم ونورَهم؛ لأنهم لما بذلوا أنفسَهم لله تعالى أثابَهم اللهُ تعالى عليها، أنْ جَعَلَهم أحياءً عنده يُرْزَقُون، فيجري عليهم رزقُهم ونورُهم، فهؤلاءِ السعداءُ.

ثم ذَكَرَ الأشقياءَ فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [المائدة: ١٠ و٨٦].

السادسةُ والأربعون: أنَّ في القلبِ قسوةً لا يُذْيبُها إلَّا ذكرُ الله تعالى، فينبغي للعبدِ أن يداويَ قسوةَ قلبِه بذكرِ الله تعالى.

وذَكَرَ حَمَّادُ بنُ زيدٍ، عن المعَلَّى بنِ زيادٍ، أنَّ رجلًا قَالَ للحسنِ: يا أبا سعيدٍ، أشكُو إليك قسوةَ قلبي، قال أذِبْهُ بالذِّكرِ.

السابعة والأربعون: أنَّ الذكرَ شِفَاءُ القلبِ ودواؤُهُ، والغفلةَ مرضُهُ، فالقلوبُ مريضةٌ، وشفاؤُها ودواؤُها في ذكرِ الله تعالى.

قال مَكْحولٌ: ذِكْرُ الله تعالى شِفَاءٌ، وذِكْرُ الناسِ داءٌ.

الثامنةُ والأربعون: أنَّ الذكرَ أصلُ موالاةِ الله عزَّ وجلَّ ورأسُها، والغفلةَ أصلُ معاداتِهِ ورأسُها، فإنَّ العبد لا يزالُ يذكرُ ربَّهُ عزَّ وجلَّ حتى يحِبَّهُ فيواليه، ولا يزالُ يَغْفُلُ عنه حتى يُبْغِضَهُ فيعادِيه.

قال الأوزاعيُّ: قَالَ حَسَّانُ بنُ عَطيَّةَ: ما عادى عبدٌ ربَّهُ بشيءٍ أشدَّ عليه من أن يَكْرَهَ ذكرَهُ أو مَنْ يَذْكُرُهُ.

التاسعةُ والأربعون: أنَّه ما استُجلِبَتْ نِعَمُ الله عزَّ وجلَّ واستُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بمثلِ ذكر الله تعالى، فالذكرُ جلَّابٌ للنعمِ، دافعٌ للنقمِ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج: ٣٨].

الخمسون: أنَّ الذكرَ يُوجِبُ صلاةَ الله عزَّ وجلَّ وملائكتِهِ على الذاكرِ، ومَنْ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وملائكتُهُ، فَقَدْ أَفْلَحَ كلَّ الفلاحِ، وفاز كلَّ الفَوْزِ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

الحاديةُ والخمسون: أنَّ مَنْ شاء أن يَسْكُنَ رياضَ الجنَّةِ في الدنيا، فليستوطن مجالسَ الذكرِ، فإنَّها رياضُ الجنة.

الثانيةُ والخمسون: أنَّ مجالسَ الذكرِ مجالسُ الملائكةِ، فليس من مجالسِ الدنيا لهم مجلسٌ إلَّا مجلسٌ يُذكَرُ اللهُ تعالى فيه، كما أخرجا في «الصحيحين» من حديثِ الأعْمَشِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لله مَلَائِكَةً فُضُلًا عَنْ كِتَابِ النَّاسِ، يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرونَ الله تعالى تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُم بِأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ تَعَالَى – وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ – مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يسبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَك، ويَحْمَدُونكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقولونَ: لَا واللهِ مَا رأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبادَةً، وأَشَدَّ لك تَحْمِيدًا وتَمْجِيدًا، وأَكْثَرَ لك تَسْبِيحًا. قَالَ: فيقولُ: مَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلونَكَ الجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُون: لا واللهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قال: فَيَقُولُ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ: لَا واللهِ يا رَبِّ ما رَأَوْهَا قالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: يَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قال: فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الملائكةِ: فِيهِم فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُم، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قال: هم الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِم جَلِيسُهمْ»[1].

فهذا من بركتِهِ على نفوسِهم وعلى جليسِهم، فلهم نصيبٌ من قولِهِ تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]. فهكذا المؤمن مباركٌ أينَ حلَّ، والفاجرُ مشؤومٌ أين حلَّ.

فمجالسُ الذكرِ مجالسُ الملائكةِ، ومجالسُ الغفلةِ مجالسُ الشياطينِ، وكلٌّ مضافٌ إلى شَكْلِه وأشباهِه، وكلُّ امرئٍ يصيرُ إلى ما يناسِبُه.

الثالثة والخمسون: أنَّ الله عزَّ وجلَّ يباهي بالذاكرينَ ملائكتَهُ، كما روى مسلمٌ في «صحيحِه» عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: خَرَجَ معاويةُ على حَلْقَةٍ في المسجدِ، فقال: ما أجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جلسْنَا نَذْكُرُ الله تعالى. قال: آلله ما أجْلَسَكُمْ إلَّا ذاك. قالوا: والله ما

---

(١) البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

أجلَسَنا إلَّا ذاك. قال: أمَا إني لم أَسْتَحْلِفكم تُهْمَةً لكم، وما كان أحَدٌ بمنزِلَتِي من رسولِ الله ﷺ أقلَّ عنه حديثًا مني، وإنَّ رسولَ الله ﷺ خَرَجَ على حَلْقَةٍ من أصحابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قالوا: جلسنا نَذْكُرُ الله تعالى ونَحْمَدُهُ على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال: «آلله ما أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذاك». قالوا: والله ما أجْلَسَنا إلَّا ذَاكَ. قال: «أمَا إنِّي لَـمْ أَسْتَحْلِفْكُم تُهَمَةً لكم، ولكِنَّهُ أتَانِي جِبْرِيلُ فأخبرني: أنَّ الله تباركَ وتعالى يُباهي بِكمُ الـمَلائِكَةَ»(١).

فهذه المباهاةُ من الربِّ تبارك وتعالى دليلٌ على شرفِ الذكرِ عنده، ومحبتِه له، وأن له مزيةً على غيرِه من الأعمالِ.

الرابعةُ والخمسون: أن مُدْمِنَ الذِّكْر يدخلُ الجنَّةَ وهو يضحكُ، عن أبي الدرداءِ قَالَ: «الذِينَ لا تَزَالُ أَلْسِنَتُهُمْ رَطْبَةً مِنْ ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ يَدْخُلُ أَحَدُهُمُ الجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ».

الخامسةُ والخمسون: أنَّ جميعَ الأعمالِ إنَّما شُرِعَتْ إقامةً لذكرِ الله تعالى، والمقصودُ بها تحصيلُ ذكرِ الله تعالى.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وفي «السننِ» عن عائشةَ رضي الله عنها عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّما جُعِلَ الطَّوافُ بالبَيْتِ، وبَيْنَ الصَّفا والـمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الجِمَارِ لإقامةِ ذِكرِ الله تعالى»(٢) رواه أبو داود والترمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

السادسةُ والخمسون: أنَّ أفضلَ أهلِ كلِّ عملٍ أكثرُهم فيه ذكرًا لله عزَّ وجلَّ، فأفضلُ الصُّوَّام، أكثرُهم ذِكْرًا لله عزَّ وجلَّ في صَوْمِهم، وأفضلُ المتصدِّقين، أكثرُهم ذكرًا لله عزَّ وجلَّ، وأفضلُ الحجَّاجِ أكثرُهم ذكرًا لله عزَّ وجلَّ، وهكذا سائرُ الأعمالِ.

وقالَ عبيدُ بنُ عُمَيْرٍ: إنْ أعظَمَكم هذا الليلُ أن تكابدوه، وَبَخِلْتُم على المالِ أن

---

(١) مسلم (٢٧٠١).

(٢) الترمذي (٩٠٢)، وأبو داود (١٨٨٨).

تُنْفِقُوه، وَجَبُنْتُم عن العدوِّ أن تُقَاتِلُوه، فَأَكْثِرُوا من ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ.

السابعةُ والخمسون: أنَّ إدامةَ الذكرِ تَنوبُ عن التطوعاتِ، وتقومُ مقامَها، سواءٌ كانت بدنيةً، أو ماليةً، أو بدنيةً ماليةً، كحَجِّ التطوعِ.

وقد جاء ذلك صريحًا في حديثِ أبي هريرةَ: أنَّ فقراءَ المهاجرينَ أَتَوْا رسولَ الله ﷺ فقالُوا: يَا رسولَ الله ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ من الأموالِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى، والنَّعِيم الـمُقيم، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ويَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَـهُمْ فَضْلُ أمْوالهم، يَحُجُّونَ بها، ويَعْتَمِرُونَ، ويجاهِدُونَ ويتصدَّقُون. فقَالَ: «**أَلَا أعلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ به مَنْ سَبَقَكُم، وتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُم، ولَا أحَدٌ يكُونُ أَفْضَلَ مِنْكُم إلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُم؟**» قَالوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قال: «**تُسَبِّحُونَ، وتَحْمَدُون، وتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كلِّ صلاة...**»[1] الحديث. متفق عليه.

فجعل الذِّكر عِوضًا لهم عما فاتهم من الحجِّ والعمرةِ والجهادِ، وأخبر أنهم يَسْبِقُونَهم بهذا الذِّكرِ، فلـمَّا سَمِعَ أهلُ الدُّثُورِ بذلك عَمِلُوا به، فازدادوا – إلى صَدَقاتِهم وعباداتِهم بمالهم – التعبُّدَ بهذا الذِّكرِ، فحازوا الفضيلتينِ، فنافسهم الفقراءُ، وأخبرُوا رسولَ الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك، فانفردُوا عنهم بما لا قدرةَ لهم عليه، فقال: «**ذلك فضلُ الله، يؤتيه من يشاء**».

الثامنةُ والخمسون: أنَّ ذِكرَ الله عزَّ وجلَّ مِنْ أكبرِ العَوْنِ على طاعتِه، فإنَّه يحبِّبُها إلى العبدِ، ويسهِّلُها عليه، ويلذِّذُها له، ويجعلُ قُرَّةَ عينِهِ فيها، ونعيمَه وسرورَه بها، بحيث لا يجدُ لها من الكُلْفَةِ والمشَقَّةِ والثِّقلِ ما يجدُ الغافلُ، والتجْرِبةُ شاهدةٌ بذلك، توضِّحُه.

التاسعةُ والخمسون: أنَّ ذِكْرَ الله عزَّ وجلَّ يُسَهِّلُ الصعبَ، ويُيَسِّر العسيرَ، ويُخَفِّفُ الـمَشَاقَّ، فما ذُكِرَ الله عزَّ وجلَّ على صَعْبٍ إلَّا هَان، ولا على عَسِيرٍ إلَّا تَيَسَّر، ولا مَشَقَّةٍ إلَّا خَفَّتْ، ولا شِدَّةٍ إلَّا زَالت، ولا كُرْبَةٍ إلَّا انفرجَتْ، فَذِكْرُ الله تعالى هو الفَرَجُ بعد الشِّدَّةِ، واليسرُ بعد العُسْرِ، والفَرَجُ بعدَ الغَمِّ والهمِّ، توضِّحُه.

الستون: أنَّ ذكر الله عزَّ وجلَّ يُذْهِبُ عن القلبِ مخاوفَهُ كلَّها، وله تأثيرٌ عجيبٌ في

---

(١) البخاري (٦٣٢٩)، ومسلم (٥٩٥).

حصول الأمنِ، فليس للخائفِ الذي قد اشتدَّ خوفُهُ أنفعُ من ذكرِ الله عزَّ وجلَّ.

الحادية والستون: أنَّ الذكرَ يُعْطِي الذَّاكِرَ قوةً، حتى إنَّه ليفعلُ مع الذكرِ ما لا يُطِيقُ فعلَهُ بدونِه.

وقد علَّمَ النبيُّ ﷺ ابنتَهُ فاطمةَ وعليًّا رَضِيَ الله تعالى عنهما أنْ يسبِّحا كلَّ ليلةٍ إذا أخذا مضاجِعَهما ثلاثًا وثلاثينَ، ويَحْمَدَا ثلاثًا وثلاثينَ، ويُكَبِّرا أربعًا وثلاثينَ، لـمَّا سألَتْهُ الخَادِمَ، وشكَتْ إليه ما تقاسيهِ من الطَّحْنِ والسَّعْي والخِدْمَةِ، فَعَلَّمَها ذلك وقَالَ: «إنَّه خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ».

فقيل: إنَّ مَنْ داوَمَ على ذلك وَجَدَ قوةً في بدنِه مُغْنِيةً عن خادم.

وكان حبيبُ بنُ مسلمةَ يَسْتَحِبُّ إذا لَقِيَ عدُوًّا، أو نَاهضَ[1] حِصْنًا أنْ يَقولَ: لَا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، وإنَّهُ نَاهَضَ يومًا حِصْنًا للرُّوم، فانهزم، فقالَها المسلمون وكبَّرُوا، فانْهَدَمَ الحِصْنُ.

الثانيةُ والستون: أن عُمَّالَ الآخرةِ كلَّهم في مِضْمارِ السباقِ، والذاكرون هم أسبقُهم في ذلك الـمِضْمَارِ، ولكن القَتَرَةَ[2] والغُبَارَ يمنَعُ من رؤيةِ سَبْقِهم، فإذا انجَلَى الغُبارُ وانكشف، رآهم الناسُ وقد حازوا قَصَبَ السَّبْقِ.

الثالثة والستون: أنَّ الذكرَ سببٌ لتصديقِ الربِّ عزَّ وجلَّ عبدَهُ، فإنَّه أخبر عن الله تعالى بأوصافِ كمالِه ونعوتِ جلالِه، فإذا أخبَرَ بها العبدُ صدَّقه ربُّهُ، ومن صدَّقَهُ الله تعالى، لم يُحْشَرْ مع الكاذبين، ورُجِيَ له أن يُحْشَرَ مع الصادقين.

رَوَى أبو إسحاقَ عن الأغَرِّ أبي مسلم، أنَّه شَهِد على أبي هريرةَ وأبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنهما أنَّهما شَهِدَا على رسولِ الله أنَّه قَالَ: «إِذَا قَالَ العَبْدُ: لَا إله إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ، قَالَ: يقولُ الله تبارك وتعالى: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إله إلَّا أنا وَحْدِي، وإذا قَالَ: لَا إله إلا الله وحدَهُ لا شَرِيك لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لا إله إلَّا أنا، لا شَرِيكَ لِي، وإِذَا قَالَ: لَا إلَهَ إلَّا

---

(١) ناهض: قاوم.

(٢) القترة: الدخان.

الله لَهُ الـمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إله إلَّا أنا، لِيَ الـمُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ، وإذا قَالَ: لَا إله إلَّا الله، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بالله، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إله إلَّا أنا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بي». قَالَ أبو إسحاق: ثُمَّ قَالَ الأغرُّ شيئًا لم أفْهَمْهُ، قلتُ لأبي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ: قَالَ: «مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لم تَمَسَّهُ النَّارُ»[1].

الرابعةُ والستونَ: أنَّ دُورَ الجَنَّةِ تُبنى بالذكرِ، فإذا أمْسَكَ الذّاكرُ عن الذكرِ، أمْسَكَتِ الملائكةُ عن البناءِ، فإذا أَخَذَ في الذكر أخذوا في البناء.

وكما أنَّ بناءَها بالذكر، فَغِراسُ بساتينها بالذكرِ كما تَقَدَّمَ في حديثِ النبيِّ ﷺ عن إبراهيمَ الخليل عليه السلامُ: «أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الـماءِ، وأنَّها قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، وَلَا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ».

فالذكرُ غِراسُها وبناؤُها.

الخامسة والستونَ: أنَّ الذكرَ سدٌّ بين العبدِ وبين جهنَّمَ، فإذا كانت له إلى جهنَّمَ طريقٌ من عملٍ من الأعمالِ، كان الذكرُ سدًّا في تلك الطريقِ، فإذا كان ذكرًا دائمًا كاملًا، كان سدًّا مُحْكمًا لا منفَذَ فيه، وإلا فبِحَسْبِه.

السادسةُ والستونَ: أنَّ الملائكةَ تستغفرُ للذاكرِ كما تستغفرُ للتائب، كما رَوَى حسينُ المعلِّمُ عَنْ عبدِ الله بنِ بُرَيْدَةَ، عن عامرٍ الشَّعبيِّ، عن عبدِ الله بن عمروِ بنِ العاصِ قَالَ: أَجِدُ في كتابِ الله الـمُنَزَّلِ: أنَّ العبدَ إذا قَالَ: «الحمدُ لله»، قالتِ الملائكةُ: «رَبِّ العالمينَ»، وإذا قالَ: «الحَمْدُ لله ربِّ العالمينَ»، قَالَتِ الملائكةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ، وإذا قالَ: «سُبْحَانَ الله»، قالت الملائكةُ: «وبحَمْدِهِ»، وإذا قَالَ: «سُبْحَانَ الله وبحمدِهِ»، قَالَتِ الملائكةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لعَبْدِكَ، وإذا قَالَ: «لَا إله إلَّا الله» قالت الملائكةُ: والله أكبرُ، وإذا قالَ: «لَا إله إلَّا الله والله أكبرُ» قالت الملائكة: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ».

السابعةُ والستونَ: أنَّ الجبالَ والقِفَارَ تَتَباهى، وتَسْتَبْشِرُ بمَنْ يذكرُ اللهَ عزَّ وجلَّ عليها.

---

(١) الترمذي (٣٤٣٠)، وابن ماجه (٣٧٩٤).

قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إنَّ الجبلَ لينادي الجبلَ باسمِهِ: أَمَرَّ بك اليومَ أحدٌ يذكرُ الله عزَّ وجلَّ؟ فإذا قالَ: نعم، اسْتَبْشَرَ.

الثامنةُ والستونَ: أنَّ كثرة ذكرِ الله عزَّ وجلَّ أمانٌ من النفاقِ، فإنَّ المنافقين قليلو الذكرِ لله عزَّ وجلَّ.

قال الله عزَّ وجلَّ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقالَ كعبٌ: مَنْ أَكْثَرَ ذِكرَ الله عزَّ وجلَّ بَرِئَ من النفاقِ.

التاسعةُ والستونَ: أنَّ للذكر مِنْ بين الأعمالِ لذةً لا تُشْبِهُهَا شيءٌ، فلو لم يكن للعبد من ثوابِه إلَّا اللَّذَّةُ الحاصلةُ للذاكرِ، والنعيمُ الذي يحصلُ لقلبه، لكفَى به، ولهذا سُمِّيَتْ مجالسُ الذكرِ رياضَ الجنَّةِ.

قالَ مالكُ بنُ دينارٍ: ما تلذَّذَ المتلذِّذُونَ بمِثْلِ ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ، فليس شيءٌ من الأعمالِ أخفَّ مؤونةً مِنْهُ، ولا أعظمَ لَذَّةً ولا أكثرَ فَرْحَةً وابتهاجًا للقلب.

السبعونَ: أنه يكسو الوجْهَ نَضْرَةً في الدنيا، ونورًا في الآخرةِ، فالذاكرون أنضرُ الناسِ وجوهًا في الدنيا، وأنورُهم في الآخرةِ.

الحاديةُ والسبعونَ: أنَّ في دوام الذكر في الطريقِ، والبيتِ، والحضرِ، والسفرِ، والبقاعِ، تَكْثِيرًا لشهودِ العبدِ يومَ القيامةِ، فإنَّ البُقْعَةَ، والدارَ، والجبلَ، والأرضَ، تشهدُ للذاكرِ يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٥].

فَرَوَى التِّرمِذِيُّ في «جامِعِهِ»، من حديثِ سَعِيدٍ المقبريِّ، عن أبي هريرةَ قَالَ: قَرَأَ رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قال: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قالُوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «فإنَّ أَخْبَارَها أَنْ تَشْهَدَ على كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظَهْرِهَا،

تقولُ: عَمِلَ يَوْمَ كَذَا، كَذَا وَكَذَا»[١] قالَ الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الثانيةُ والسبعون: أنَّ في الاشتغالِ بالذكرِ اشتغالًا عن الكلام الباطلِ من الغيبةِ، والنميمةِ، واللغوِ، ومدحِ الناسِ، وذَمِّهم، وغيرِ ذلك، فإنَّ اللسانَ لا يسكتُ ألبتةَ.

فإمَّا لسانٌ ذاكرٌ، وإمَّا لسانٌ لاغٍ، ولا بدَّ من أحدِهما.

الثالثةُ والسبعون: وهي التي بدأنا بذكرِها، وأشرنا إليها إشارةً، فنذكرُها هاهنا مبسوطةً لعظيم الفائدةِ بها، وحاجةِ كلِّ أحدٍ، بل ضرورتُه إليها، وهي أنَّ الشياطينَ قد احْتَوَشَتِ[٢] العبدَ وهم أعداؤُه، فما ظنُّكَ برجلٍ قد احْتَوَشَه أعداؤُهُ المحْنِقونَ[٣] عليه غيظًا، وأحاطوا به، وكلٌّ منهم ينالُه بما يقدِرُ عليه من الشَّرِّ والأذى، ولا سبيلَ إلى تفريقِ جمعِهم عنه إلَّا بذكرِ الله عزَّ وجلَّ.

وفي الترمذيِّ عن أنسِ بنِ مالكٍ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ** – يعني إذا خَرَجَ من بيتِهِ – **بسمِ الله، توكَّلْتُ على الله، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وهُدِيتَ ووُقِيتَ، وتَنَحَّى عنه الشيطانُ، فيقولُ لشيطانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ برجلٍ قَدْ هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ**»[٤]؟ رواه أبو داودَ والنَّسائيُّ والترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

وقد تقدَّم قولُهُ ﷺ: «**مَنْ قَالَ في يوم مائةَ مرةٍ: لَا إله إلَّا الله وحدَهُ لَا شريْكَ لَهُ، لَهُ الـمُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ، كَانَتْ لَهُ حِرْزًا من الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِي**»[٥].

وفي «**صحيح البخاري**»، عن محمدِ بن سيرينَ، عن أبي هريرةَ قَالَ: ولَّاني رسولُ الله ﷺ زكاةَ رمضانَ أنْ أحْتَفِظَ بها، فأتاني آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فأخذْتُهُ، فَقَالَ: دَعْنِي فإني لا أعودُ... فذكر الحديثَ، وقَالَ: فقَالَ له في الثالثةِ: أعلِّمُكَ كلماتٍ يَنْفَعُكَ الله بِهِنَّ: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِك، فاقرأ آيةَ الكُرْسِي مِنْ أوَّلِها إلى آخرِها، فإنَّه لا يزالُ عَلَيْكَ مِنَ الله

---

(١) الترمذي (٢٤٢٩)، (٣٣٥٣).

(٢) احتوشت العبدَ: جعلوه وسطهم وأحاطوا به.

(٣) المحنقون: الحاقدون.

(٤) الترمذي (٣٤٢٦)، وأبو داود (٥٠٩٥).

(٥) البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

حافظٌ، ولا يَقْرَبُكَ شيطانٌ حتى تصبحَ، فخلَّى سبيلَهُ، فأصبحَ فأخبرَ النبيَّ ﷺ بقولِهِ، فقالَ: «صَدَقَكَ، وهو كذوبٌ»[1].

وفي «الصحيحين»: عن ابن عباسٍ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أتى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فيُولَدُ بينهما ولدٌ لَا يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»[2].

وقَدْ ثَبَتَ في «الصحيحين» أَنَّ الشيطانَ يَهْرُبُ مِنَ الأذانِ.

وفي روايةٍ: «إذا سَمِعَ النِّدَاءَ وَلَّى وله ضُراطٌ، حتى لا يَسمَعَ التَّأذينَ...»[3] الحديثُ.

ولنذكر فصولًا نافعةً تتعلقُ بالذكرِ تكميلًا للفائدةِ:

● ● ● ● ●

---

(١) البخاري (٢٣١١، ٣٢٧٥، ٥٠١٠) معلقًا.

(٢) البخاري (٣٢٧١)، ومسلم (١٤٣٤).

(٣) البخاري (٦٠٨، ١٢٣١)، ومسلم (٣٨٩).

الفصل الأول

[أنواعُ الذكرِ]

الذكرُ نوعانِ:

أحدُهما: ذِكْرُ أسماءِ الرَّبِّ تبارك وتعالى وصِفاتِهِ، والثناءُ عليه بهما، وتنزيهُهُ وتقديسُهُ عما لا يليقُ به تبارك وتعالى، وهذا أيضًا نوعانِ:

أحدُهما: إنشاءُ الثناءِ عليه بها من الذاكر، وهذا النوعُ هو المذكور في الأحاديثِ، نحو: «سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، ولَا إله إلا الله، والله أكبرُ»، و«سبحانَ الله وبحمدِهِ»، و«لَا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الـمُلْكُ، وله الحمدُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ»، ونحو ذلك، فأفضلُ هذا النوعِ، أجمعُهُ للثناءِ، وأعمُّهُ نحو: «سبحانَ الله عددَ خلقِهِ» فهذا أفضلُ من مجردِ «سبحانَ الله»، وفي حديث جُويريةَ رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ لها: «لقد قلتُ بَعْدَكِ أَرْبَع كلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذ اليوم لوَزَنَتْهُنَّ: سبْحانَ الله وبحمده عددَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[1] رواه مسلم.

وفي الترمذيِّ و«سننِ أبي داود»، عن سَعْدِ بنِ أبي وقاصٍ أَنَّهُ دَخَلَ مع رسولِ الله ﷺ على امرأةٍ بين يَدَيْهَا نَوى أو حصًى تُسَبِّحُ به فَقَالَ: «أَلَا أُخبِرُكِ بما هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا أو أَفْضَلُ» فَقَالَ: «سبحَانَ الله عَدَدَ ما خلقَ في السَّماءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خلقَ في الأرضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ ما بينَ ذلكَ، وسُبْحانَ الله عَدَدَ ما هو خَالِقٌ، والله أكبرَ مثلَ ذَلِكَ، والحمدُ لله مِثْلَ ذلك، ولا إله إلا الله مثلَ ذلك، ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلَّا بالله مِثْلَ ذلك»[2].

النوع الثاني: الخبرُ عن الربِّ تبارك وتعالى بأحكام أسمائِه وصفاتِه، نحوُ قولِكَ: اللهُ عزَّ وجلَّ يسمعُ أصواتَ عبادِهِ، ويرى حَرَكاتِهم، ولا تخفَى عليه خافيةٌ من أعمالِهم، وهو

---

(١) مسلم (٢٧٢٦).

(٢) الترمذي (٣٥٦٨)، وأبوداود (١٥٠٠).

أرحمُ بهم من آبائِهم وأمهاتِهم، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وهو أفرحُ بتوبةِ عبدِهِ من الفاقدِ راحلتَه الواجِدِ، ونحو ذلك.

وأفضلُ هذا النوع: الثناءُ عليه بما أثنى به على نفسِه، وبما أثنى به عليه رسولُ الله ﷺ من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غيرِ تشبيهٍ ولا تمثيلٍ.

وهذا النوع أيضًا ثلاثةُ أنواعٍ: حَمْدٌ، وثَنَاءٌ، ومَجْدٌ.

فالحمدُ لله: الإخبارُ عنه بصفاتِ كمالِهِ سبحانه وتعالى، مع محبتِه والرضَى به، فلا يكونُ المُحِبُّ الساكتُ حامدًا، ولا المثني عليه بلا محبةٍ حامدًا حتى تجتمعَ له المحبةُ والثناءُ، فإن كرَّرَ الحامدُ شيئًا بعد شيءٍ كانت ثناءً، فإن كان المدحُ بصفاتِ الجلالِ والعظمةِ والكبرياءِ والملكِ كان مجدًا.

وقد جَمَعَ الله تعالى لعبده الأنواعَ الثلاثةَ في أول سورةِ فاتحةِ الكتاب، فإذا قَالَ العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال اللهُ: حَمِدَنِي عبدي، وإذا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال: أثنَى عليَّ عبدي، وإذا قالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قَالَ: «مجَّدني عبدي».

والنوعُ الثاني: من الذِّكرِ: ذِكْرُ أمرِهِ ونهيِه وأحكامِهِ.

وهو أيضًا نوعانِ:

أحدُهما: ذكرُه بذلك إخبارًا عنه بأنه أَمَرَ بكذا، ونَهَى عن كذا، وأحبَّ كذا، وسَخِطَ كذا، ورَضِيَ كذا.

والثاني: ذكرُه عند أمره، فيبادرُ إليه، وعند نهيِه فيهربُ منه، فذكرُ أمرِه ونهيِه شيءٌ، وذكرُهُ عند أمرِه ونهيه شيءٌ آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواعُ للذاكرِ فَذِكْرُهُ أفضلُ الذِّكْر وأجلُّهُ وأعظمُهُ فائدةً.

فهذا الذِكْرُ من الفقهِ الأكبرِ، وما دونَه من أفضلِ الذكرِ إذا صحَّت فيه النيةُ.

ومن ذكره سبحانه وتعالى: ذِكْرُ آلائِهِ وإنعامِهِ وإحسانِهِ وأياديه، ومواقعِ فضلِه على عبيده، وهذا أيضًا من أجلِّ أنواع الذِّكر.

فهذه خمسةُ أنواعٍ:

وهي تكون بالقلبِ واللسانِ تارةً، وذلك أفضلُ الذكر.

وبالقلبِ وحدَهُ تَارَةً، وهي الدرجةُ الثانيةُ.

وباللِّسانِ وحدَهُ تارةً، وهي الدرجةُ الثالثةُ.

فأفضلُ الذكرِ: ما تَوَاطأَ عليه القلبُ واللسانُ. وإنما كان ذكر القلب وحدَه أفضلَ من ذكر اللسانِ وحدَه؛ لأنَّ ذكر القلبِ يُثْمِرُ المعرفةَ ويهيِّجُ المحبَّةَ، ويُثِيرُ الحياءَ، ويَبْعَثُ على المخافةِ، ويدعو إلى المراقبةِ، ويزعُ عن التقصيرِ[1] في الطاعات، والتهاونِ في المعاصي والسيئات، وذكرُ اللسان وحده لا يُوجِبُ شيئًا من ذلك الإثمارِ، وإنْ أثمرَ شيئًا منها، فثمرةٌ ضعيفةٌ.



(١) يزعُ عن التقصيرِ: يكفّ ويمنع عنه.

الفصل الثاني

[الذكر أفضل من الدعاء]

الذكرُ أفضلُ من الدعاءِ؛ لأنَّ الذكرَ ثناءٌ على الله عزَّ وجلَّ بجميلِ أوصافِهِ وآلائِهِ وأسمائِه، والدعاءُ سؤالُ العبدِ حاجتَهُ، فأين هذا من هذا؟

ولهذا كان المستحبُّ في الدعاء أن يبدأَ الداعي بحَمْدِ الله تعالى، والثناءِ عليه ويصلِّي على النبيِّ ﷺ بين يدي حاجتِهِ، ثم يسألُ حاجَتَه، كما في حديث فَضَالةَ بنِ عبيدٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سَمِعَ رجلًا يدعُو في صلاتِهِ لَـمْ يَحْمَدِ الله تعالى ولم يُصَلِّ على النبيِّ ﷺ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «لقد عَجِلَ هذا» ثم دعاهُ فقَالَ له أو لغيرِهِ: «إِذَا صَلَّى أحدُكُمْ فلْيَبْدَأ بتَحْمِيدِ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ والثَّنَاءِ عليه، ثم يُصلِّي على النبيِّ ﷺ، ثم يدعُو بَعْدُ بما شاءَ»[1] رواهُ الإمامُ أحمدُ، والترمذيُّ وقَالَ: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكمُ في «صحيحه».

وهكذا دعاءُ ذي النونِ عليه السلامُ الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «دَعْوَةُ أخي ذي النون، ما دعا بها مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ الله كُرْبَتَهُ: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. وفي الترمذيِّ: دَعْوَةُ أخي ذي النون إِذْ دعَا وهو في بَطْنِ الحُوتِ: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فإِنَّه لَـمْ يَدْعُ بها مُسْلِمٌ في شيء قطُّ إِلَّا استجابَ الله له»[2].

وهكذا عامةُ الأدعيةِ النبويةِ على قائلها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ.

ومنه قولُهُ ﷺ في دعاءِ الكَرْبِ: «لَا إِلهَ إِلَّا الله العظيمُ الحليمُ، لَا إِلهَ إِلا الله رَبُّ العرشِ العظيمِ، لا إِلهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السمواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمِ»[3].

ومنه حديثُ بُرَيْدَةَ الأَسْلميِّ الذي رواه أهلُ السننِ، وابنُ حِبَّانَ في «صحيحِه»: أنَّ

(١) أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، والنسائي (١٢٨٤).

(٢) الترمذي (٣٥٠٥).

(٣) البخاري (٦٣٤٦، ٧٤٣١)، ومسلم (٢٧٣٠).

رسولَ الله ﷺ سَمِعَ رجلًا يدعُو وهو يقولُ: اللَّهُمَّ إني أسألُك بأنِّي أشهدُ أنَّكَ أنتَ اللهُ لَا إلهَ إلَّا أنتَ الأحدُ الصمدُ الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكنْ له كُفُوًا أحدٌ، فقال ﷺ: «**والَّذِي نَفْسِي بيدِهِ، لقد سألَ الله باسمِهِ الأعظمِ، الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[١].

وَرَوَى أبو داودَ، والنسائيُّ من حديثِ أنسٍ أنَّه كان مع النبيِّ ﷺ جالسًا ورجلٌ يُصَلِّي ثم دعا: اللَّهُمَّ إني أسألُك بأنَّ لك الحمدَ، لا إلهَ إلا أنتَ، المَنَّانُ، بديعُ السمواتِ والأرضِ، يا ذا الجلالِ والإكرام، يا حيُّ يا قيُّومُ. فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «**لقد دعَا الله باسمِهِ الأعظمِ الذي إذا دُعِيَ به أجَابَ، وإذا سُئِلَ به أعْطَى**»[٢].

فأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الدعاءَ يُستجابُ إذا تقدَّمه هذا الثناءُ والذكرُ، وأنه اسمُ الله الأعظم، فكان ذكرُ الله عزَّ وجلَّ والثناءُ عليه أنجحَ ما طلب به العبدُ حوائجَهُ.

وهذه فائدة أخرى من فوائدِ الذكرِ والثناءِ، أنه يجعلُ الدعاءَ مستجابًا.

فالدعاءُ الذي يتقدَّمُهُ الذكرُ والثناءُ، أفضلُ وأقربُ إلى الإجابةِ من الدعاءِ المجرّدِ، فإن انضاف إلى ذلك إخبارُ العبد بحالِه ومسكنتِهِ، وافتقارِهِ واعترافِهِ، كان أبلغَ في الإجابةِ وأفضلَ، فإنَّه يكونُ قد تَوَسَّلَ إلى المدعوِّ بصفاتِ كمالِهِ وإحسانِه وفضلِه، وعرَّضَ بل صَرَّحَ بشدةِ حاجتِهِ وضرورتِه وفقرِه ومسكنتِهِ، فهذا المقتضَى منه، وأوصافُ المسؤولِ مقتضًى من الله، فاجتمع المقتضى من السائلِ، والمقتضَى من المسؤولِ في الدعاءِ، فكان أبلغَ وألطفَ موقعًا، وأتمَّ معرفةً وعبوديةً.

فإذا عَرَفْتَ هذا، فتأمل قولَ موسى ﷺ في دعائِهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] وقولَ ذي النونِ ﷺ في دعائِهِ: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وقولَ أبينا آدمَ ﷺ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وفي «**الصحيحين**»: أنَّ أبا بَكْرٍ الصدِّيقَ رَضِيَ الله عنه قَالَ: يا رسولَ الله! علِّمني

---

(١) أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥).

(٢) أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي (١٣٠٠).

دعاءً أدعُو به في صلاتي، فقال قل: «اللَّهُمَّ إنِّي ظلمتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثيرًا، وإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذنوبَ إلَّا أنت، فاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْني، إنَّك أنتَ الغفورُ الرحيمُ»[1].

فجمع في هذا الدعاءِ الشريفِ العظيم القدرِ، بين الاعترافِ بحالِه، والتوسلِ إلى ربِّه عزَّ وجلَّ بفضلِه وجودِهِ، وأنه المنفردُ بغفرانِ الذنوبِ، ثم سَأَلَ حاجتَهُ بعدَ التوسلِ بالأمرينِ معًا، فهكذا أدبُ الدعاءِ وآدابُ العبوديةِ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

(١) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

الفصل الثالث

[قراءةُ القرآنِ أفضلُ من الذكرِ]

قراءةُ القرآنِ أفضلُ من الذِّكْر، والذِّكرُ أفضلُ من الدعاءِ، هذا من حيثُ النظرُ إلى كلٍّ منهما مجرَّدًا.

وقد يَعْرِضُ للمفضولِ ما يجعلُه أولى من الفاضلِ، بل يُعَيِّنُهُ، فلا يجوزُ أنْ يعدِلَ عنه إلى الفاضلِ، وهذا كالتسبيحِ في الركوعِ والسجودِ، فإنه أفضلُ من قراءةِ القرآنِ فيهما، بل القراءةُ فيهما منهيٌّ عنها نهيَ تحريم أو كراهةٍ، وكذلك التسميعُ والتحميدُ في محلِّهما أفضلُ من القراءةِ، وكذلك التشهدُ، وكذلك: «ربِّ اغْفِرْ لي وارْحمني واهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْني» بين السجدتينِ أفضلُ من القراءةِ، وكذلك الذكرُ عَقِيب السلامِ من الصلاةِ – ذكر التهليلِ، والتسبيحِ، والتكبيرِ، والتحميدِ – أفضلُ من الاشتغالِ عنه بالقراءةِ، وكذلك إجابةُ المؤذنِ، والقولُ كما يقولُ أفضلُ من القراءةِ، وإنْ كان فَضْلُ القرآنِ على كلِّ كلامٍ كفضلِ الله تعالى على خلقِه، لكن لكلِّ مَقام مَقالٌ، متى فاتَ مقالُهُ فيه وَعَدَلَ عنه إلى غيره، اخْتَلَّتْ الحكمةُ، وفاتتْ المصلحةُ المطلوبةُ منه.

وهكذا الأذكارُ المقيدةُ بمحالَّ مخصوصةٍ أفضلُ من القراءةِ المطلقةِ، والقراءةُ المطلقةُ أفضلُ من الأذكارِ المطلقةِ، اللَّهُمَّ إلَّا أن يعرِضَ للعبد ما يجعلُ الذكرَ أو الدعاءَ أنفعَ له من قراءةِ القرآنِ. مثالُه: أن يتفكَّرَ في ذنوبه، فيحدثَ ذلك له توبةً واستغفارًا، أو يعرضَ له ما يخافُ أذاه من شياطينِ الإنسِ والجنِّ، فيعْدِلَ إلى الأذكارِ والدعواتِ التي تُحصِّنُه وتحوطُه.

وهذا بابٌ نافعٌ يحتاج إلى فقهِ نفسٍ، وفرقانٍ بين فضيلةِ الشيء في نفسِه وبين فضيلتِه العارضةِ، فيُعطَى كلُّ ذي حقٍّ حقَّهُ، ويُوضَعُ كلُّ شيءٍ موضعَهُ.

وقلتُ لشيخِ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ رحمه الله تعالى يومًا: سُئِلَ بعضُ أهلِ العلم: أيما أنفعُ للعبدِ، التسبيحُ أو الاستغفارُ؟ فَقَالَ: إذا كان الثوبُ نقيًّا، فالبخورُ وماءُ الوَرْدِ أنفعُ له، وإنْ كان دَنِسًا فالصابونُ والماء الحارُّ أنفعُ له. فقال لي رَحِمَهُ الله تعالى: فكيف والثيابُ

لا تزالُ دَنِسَةً[1]؟

ولما كانت الصلاةُ مشتملةً على القراءةِ والذكرِ والدعاءِ، وهي جامعةٌ لأجزاءِ العبوديةِ على أتمِّ الوجوهِ، كانت أفضلَ من كلٍّ؛ من القراءةِ والذكرِ والدعاءِ بمفردِهِ، لجمْعِها ذلك كلَّه مع عبوديةِ سائرِ الأعضاءِ.

فهذا أصلٌ نافع جدًّا، يفتَحُ للعبد بابَ معرفةِ مراتبِ الأعمالِ وتنزيلِها منازلَها، لئلا يشتغلَ بمفضولِها عن فاضِلِها، فيربحَ إبليسُ الفضلَ الذي بينهما، أو ينظرَ إلى فاضِلِها فيشتَغِلَ به عن مفضولِها وإنْ كان ذلك في وقتِه، فتفوتُهُ مصلحتُهُ بالكُلِّيَّةِ، لظنِّه أنَّ اشتغالَهُ بالفاضلِ أكثرُ ثوابًا وأعظمُ أجرًا.

● ● ● ● ●

(١) أي أن الاستغفار أفضل لمن ابتلي بالمعاصي والمخالفات.

الفصل الرابع

في الأذكارِ الموظَّفةِ التي لا ينبغي للعبد أن يُخِلَّ بها لشدةِ الحاجةِ إليها، وعِظَمِ الانتفاعِ في الآجلِ والعاجلِ بها

في ذكرِ طَرَفَيِ النهار وهما ما بين الصبحِ وطلوعِ الشمسِ، وما بين العصرِ والغروب.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] والأصيلُ: قَالَ الجَوْهَرِيُّ: هو الوقتُ بعدَ العصرِ إلى المغربِ وجمعه: أُصُل وآصال.

وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥] فالإبكارُ: أولُ النهارِ، والعَشِيُّ: آخرُه، وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩]، وهذا تفسيرُ ما جاء في الأحاديثِ أنَّ: مَنْ قال كذا وكذا حين يُصْبِحُ وحين يُمسي، أنَّ المرادَ به: قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها، وأنَّ محلَّ هذه الأذكارِ بعدَ الصبحِ وبعدَ العصرِ.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حينَ يُصْبِحُ وحين يُمْسِي: سبحانَ الله وبحَمْدِهِ مائةَ مَرةٍ، لم يأتِ أحدٌ يَوْمَ القِيامَةِ بأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إلَّا أحدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أو زَادَ عليه»[1].

وفي «صحيحِه» أيضًا عن ابن مسعودٍ قَالَ: كانَ نبيُّ الله ﷺ إذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الـمُلْكُ لله، والحمْدُ لله، لَا إله إلَّا الله وحدَهُ لا شَرِيكَ له، لَهُ الـمُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ربِّ أسأَلُكَ خيرَ ما في هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وخيرَ ما بَعْدَها، وأعوذُ بِكَ من شرِّ ما في هذه اللَّيْلَةِ وَشَرِّ ما بَعْدَها، رَبِّ أعُوذُ بكَ مِنَ الكسلِ وسوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أعوذُ بِكَ من عَذَابٍ في النار، وَعَذَابٍ في القَبْرِ، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذلك أيضًا: أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ

---

(١) مسلم (٢٦٩٢).

الملكُ لله»[١].

وفي «السنن» عن عبد الله بن خُبيب قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُلْ» قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، ما أقولُ؟ قَالَ: «قُلْ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والـمُعوِّذَتَينِ، حين تُمْسِي، وحين تُصْبِحُ ثلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ من كلِّ شيءٍ»[٢]. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفي الترمذي أيضًا: عن أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُعَلِّمُ أصْحابَهُ، يقولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أحدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِليكَ النُّشُورُ، وإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِليكَ المصيرُ»[٣]، قال الترمذيُّ: حديثٌ حسن صحيح.

وفي «صحيح البخاريِّ» عن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «سيِّدُ الاستغفار: اللَّهُمَّ أنتَ رَبِّي، لا إلهَ إلا أنتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا استَطَعْتُ، أعوذُ بِكَ من شرِّ ما صَنَعْتُ، أبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عليَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فاغْفِرْلِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذنوبَ إلَّا أنتَ، مَنْ قَالَهَا حين يُمْسِي، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَنْ قَالَهَا حين يُصْبِحُ، فماتَ من يومِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ»[٤].

وفي الترمذيِّ عن أبي هريرةَ: أنَّ أبا بَكْرٍ الصدِّيقَ قَالَ لرسولِ الله ﷺ: مُرْنِي بشيءٍ أقولُهُ إذا أصْبَحْتُ وإذا أَمْسَيْتُ: قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ عالِمَ الغيبِ والشهادةِ، فاطرَ السمواتِ والأرضِ، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ، أشهدُ أنْ لا إله إلَّا أنْتَ، أعوذُ بِكَ مِنْ شرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشيطانِ وَشِرْكِهِ، وأنْ نَقترِفَ سُوءًا على أنفسِنا أو نَجُرَّهُ إلى مسلم. قُلْهُ إذا أصبحتَ، وإذا أَمْسَيْتَ، وإذا أخذتَ مضجعَكَ»[٥]. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسن صحيح.

وفي الترمذيِّ أيضًا عن عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا

---

(١) مسلم (٢٧٢٣).

(٢) الترمذي (٣٥٧٥)، وأبوداود (٥٠٨٢).

(٣) الترمذي (٣٣٩١)، وأبوداود (٥٠٦٨)، وابن ماجه (٣٨٦٨).

(٤) البخاري (٦٣٠٦).

(٥) الترمذي (٣٣٩٢)، وأبوداود (٥٠٦٧).

مِنْ عَبْدٍ يقولُ في صَبَاحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ: بِسْمِ اللهِ الذي لا يَضُرُّ مع اسمِهِ شيءٌ في الأرضِ وَلَا في السَّماءِ وهُوَ السَّمِيعُ العليمُ- ثلاث مرَّاتٍ - فَيضُرَّهُ شيءٌ»(١). وقال الترمذيُّ: حديث حسنٌ صحيح.

«وفيه» أيضًا عن ثَوبَانَ وغيرِهِ، أنَّ رسولَ الله ﷺ: قَالَ: «مَنْ قَالَ حينَ يُمْسِي وإذا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ ﷺ نبيًّا، كانَ حقًّا على الله أن يُرْضِيَهُ»(٢)، وقال حديثٌ حسن صحيح.

وفي «سننِ أبي داودَ» عن عبدِ الله بن غنَّام، أن رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حين يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ ما أَصْبَحَ بي مِنْ نِعْمَةٍ أو بأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الحمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، ومَنْ قَالَ مِثْلَ ذلِكَ حينَ يُمْسِي، فَقَدْ أدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ»(٣).

وفي «السننِ» و«صحيحِ الحاكمِ» عن عبدِ الله بن عمرَ قَالَ: لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ يَدَعُ هؤلاء الكلماتِ حين يُمْسِي، وحين يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ العفوَ والعافيةَ في دِيني ودُنْيايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عورَاتِي، وآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وعَنْ شِمَالِي، ومِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أن أُغْتَالَ مِنْ تَحتِي»(٤)، قال وكيعٌ: يعني الخسفَ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

---

(١) الترمذي (٣٣٨٨)، وأبوداود (٥٠٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩).

(٢) الترمذي (٣٣٨٩)، وأبوداود (٥٠٧٢)، وابن ماجه (٣٨٧٠).

(٣) أبو داود (٥٠٧٣).

(٤) أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١).

في أذكارِ النومِ

في «الصحيحينِ» عن حذيفةَ قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ أنْ ينامَ قَالَ: «باسْمِكَ اللَّهُمَّ أموتُ وأحيا»، وإذا اسْتَيْقَظَ مِنْ منامِهِ قَالَ: «الحمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ»[١].

وفي «الصحيحينِ» أيضًا، عن عائشةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إِذَا أَوَى إلى فِراشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا يَقرأُ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يَمْسَحُ بِهِمَا ما اسْتَطَاعَ من جسدِهِ، يبدأُ بهما على رأسِهِ ووجهِهِ وما أَقْبَلَ من جسدِهِ، يفعلُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ[٢].

وفي «صحيح البخاريِّ» عن أبي هريرةَ أنَّه أتاهُ آتٍ يَحْثُو من الصَّدَقَةِ، وكانَ قد جعلَهُ النبيُّ ﷺ عليها ليلةً بعدَ ليلةٍ، فلمّا كانَ في الليلةِ الثالثةِ قَالَ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسولِ الله ﷺ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كلماتٍ يَنْفَعُكَ الله بِهِنَّ - وكانُوا أحرصَ شيءٍ على الخير - فقَالَ: إذا أويتَ إلى فِرَاشِكَ فاقْرَأ آيَةَ الكُرْسِي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حتى خَتَمَهَا، فإنَّهُ لا يزالُ عليك من الله حافظٌ، ولا يَقْرَبُكَ شيطانٌ حتى تُصْبحَ. فقَالَ النبيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ»[٣].

وفي «الصحيحين» عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بالآيَتَيْنِ مِنْ آخرِ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ كَفَتَاهُ»[٤].

الصحيح: أن معناها: كفتاه من شرِّ ما يُؤْذِيهِ.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرةَ، أن رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا قَامَ أحدُكم عَنْ

---

(١) البخاري (٦٣١٤، ٦٣٢٤)، ومسلم (٢٧١١).

(٢) البخاري (٥٠١٨).

(٣) تقدم تخريجه وهو في البخاري معلقًا.

(٤) البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨).

فراشِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إليه، فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إزَارِهِ[١] ثلاثَ مرَّاتٍ، فإنَّه لا يَدْرِي ما خَلَفَهُ عليه بَعْدَهُ، وإذا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: باسمِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَها فاحْفَظْهَا بِما تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالحينَ»[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن أنسِ بن مالكٍ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا أَوَى إلى فراشِهِ قَالَ: «الحُمْد لله الذي أَطْعَمَنا وَسَقَانا وَكَفَانَا وآوانَا، فكَمْ مِمَّنْ لا كافِيَ لَهُ، ولا مُؤْوِي»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا أَوَى إلى فراشِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ ربَّ السمواتِ، وربَّ الأرضِ، وربَّ العرشِ العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحبِّ والنَّوَى، منزلَ التوراةِ والإنجيلِ والفرقَانِ، أعوذُ بكَ مِنْ شَرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنتَ آخذٌ بناصيتِهِ، أنتَ الأوَّلُ فليس قبلَكَ شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بَعْدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهرُ فليس فوقَكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عنَّا الدَّينَ، وأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ»[٤].

وفي «الصحيحينِ» عن البراءِ بنِ عازبٍ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مضجَعَكَ، فَتَوضأْ وُضوءَكَ للصَّلاَةِ، ثم اضطجعْ على شِقِّكَ الأيمنِ وقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمْتُ نفسي إليك، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمري إليكَ، وألْجأتُ ظَهْرِي إليكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إليكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إليكَ، آمنْتُ بكِتَابِكَ الذي أَنْزلتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فإنْ متَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ على الفِطْرَةِ، واجْعَلهُنَّ آخرَ ما تقولُ»[٥].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

(١) صنفة إزاره: طرفه.

(٢) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

(٣) مسلم (٢٧١٥).

(٤) مسلم (٢٧١٣).

(٥) البخاري (٦٣١٣)، ومسلم (٢٧١٠).

في أذكارِ الانتباهِ من النومِ

رَوَى البخاريُّ في «صحيحه» عن عُبَادةَ بنِ الصامتِ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تعارَّ من الليل[1] فقَالَ: لَا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الـمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ، الحَمْدُ لله، وَسُبْحَانَ الله، ولَا إلهَ إلَّا الله، واللهُ أكبرُ، ولا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بالله، ثم قال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، أو دَعَا، اسْتُجيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصلَّى قُبِلَتْ صلاتُهُ»[2].

وفي الترمذي عن أبي أمامةَ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ أَوَى إلى فراشِهِ طَاهِرًا، وَذَكَرَ الله تعالى حتى يُدْرِكَهُ النُّعاسُ، لم يَنْقَلِبْ ساعةً من الليلِ يسألُ الله تعالى فيها خيرًا من خيرِ الدنيا والآخرةِ إلَّا أعطاهُ إيَّاه»[3] حديث حسن.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في أذكارِ الفزعِ في النومِ والقلقِ

وفي «سننِ أبي داودَ» والترمذيِّ عن عبدِ الله بنِ عمرٍو: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يعلِّمُهم مِنَ الفَزَعِ كلماتٍ: «أعُوذُ بكلماتِ الله التَّامَّةِ من غضبِهِ وعقابِهِ، وشرِّ عبادِهِ، ومن هَمَزَاتِ الشياطينِ، وأَنْ يَحْضُرونِ»[4].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في أذكارِ من رأى رؤيا يكرهُها أو يحبُّها

في «الصحيحينِ» عن أبي قَتادةَ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «الرُّؤيا مِنَ الله، والحُلُمُ من الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الشيءَ يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ إِذَا اسْتَيْقَظَ، وليتعوَّذْ باللهِ مِنْ شَرِّها، فإنَّها لن تَضُرَّهُ إنْ شاء الله»[5].

---

(١) تعارَّ من الليل: تقلب على فراشه وانتبه من نومه.

(٢) البخاري (١١٥٤).

(٣) الترمذي (٣٥٢٦).

(٤) الترمذي (٣٥٢٨)، وأبوداود (٣٨٩٣).

(٥) البخاري (٣٢٩٢، ٦٩٨٦، ٧٠٠٥)، ومسلم (٢٢٦١).

قال أبو قَتَادة: كنتُ أرى الرُّؤيا تُمْرِضُني، حتى سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ: «الرُّؤيا الصَّالِحَةُ من الله، فإذَا رأى أحَدُكُمْ ما يُحِبُّ فلا يُحَدِّثْ به إلا مَنْ يُحِبُّ، وإذَا رَأَى ما يَكْرَهُ فلا يُحَدِّثْ به، وَلْيَتْفُلْ عن يسارِهِ ثلاثًا، وليتعوَّذْ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، ومِنْ شرِّ ما رأى، فإنَّها لا تَضُرُّهُ»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن جابرٍ، عن رسولِ الله ﷺ قَالَ: «إذَا رَأى أحدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ، وَلْيَسْتَعِذْ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عن جَنْبِهِ الذي كانَ عليه»(٢).

● ● ● ● ●

في أذكارِ الخروجِ من المنزلِ

في «السننِ» عن أنسِ بنِ مالكٍ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ - يعني إذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ -: بِسْمِ الله، تَوَكَّلْتُ على الله، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بالله، يُقَالُ له: كُفِيتَ وهُدِيتَ وَوُقِيتَ، وتَنَحَّى عنه الشيطانُ، فيقولُ لشيطانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قد كُفِيَ وَهُدِيَ وَوُقِيَ؟»(٣).

وفي السننِ الأربعِ، عن أمِّ سَلَمَةَ قالت: ما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ من بيتِه إلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إلى السماءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إني أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أزِلَّ أو أُزَلَّ، أوْ أَظْلِمَ أوْ أُظْلَمَ، أوْ أَجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»(٤). قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيح.

● ● ● ● ●

في أذكارِ دخولِ المنزلِ

في «صحيحِ مسلم» عن جابرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذَا دَخَلَ الرجلُ

---

(١) البخاري (٧٠٤٤)، ومسلم (٢٢٦١).

(٢) مسلم (٢٢٦٢).

(٣) الترمذي (٣٤٢٦)، وأبوداود (٥٠٩٥).

(٤) الترمذي (٣٤٢٧)، وأبوداود (٥٠٩٤)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٨٤).

بيتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ تعالى عندَ دخولِهِ، وعندَ طعامِهِ، قَالَ الشيطانُ: لا مَبِيتَ لكم ولا عَشَاءَ، وإذا دَخَلَ فلـمْ يَذْكُرِ الله تعالى عندَ دخولِهِ، قَالَ الشيطانُ: أدْرَكْتُمُ المبيتَ، فإذا لم يَذْكُرِ الله تعالى عندَ طعامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ المبيتَ والعَشَاءَ»[١].

وفي الترمذيِّ عن أنسٍ قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «يا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ على أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»[٢]. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في أذكارِ دخولِ المسجدِ والخروجِ منه

في «صحيح مسلم»، عن أبي حميدٍ، أو أبي أَسَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ المسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ على النبيِّ ﷺ وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لي أَبْوابَ رَحْمَتِكَ، وإذا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ من فَضْلِكَ»[٣].

وفي «سنن أبي داود»، عن عبدِ الله بنِ عمرٍو عن النبيِّ ﷺ: أنَّه كانَ إذا دَخَلَ المسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بالله العظيمِ، وبوجهِهِ الكريم، وَسُلْطَانِهِ القديمِ، من الشيطانِ الرجيمِ» قال: فإذا قَالَ ذلك، قَالَ الشيطانُ: حُفِظَ مِني سَائِرَ اليَوْمِ[٤].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في أذكارِ الأذانِ

في «الصحيحين» عن أبي سعيدٍ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يقولُ المؤذِّنُ»[٥].

وفي «صحيح مسلم» عن عبدِ الله بن عمرٍو، أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِذَا

---

(١) مسلم (٢٠١٨).

(٢) الترمذي (٢٦٩٨).

(٣) مسلم (٧١٣).

(٤) أبو داود (٤٦٦).

(٥) البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣).

سَمِعْتُمْ المؤذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ ما يقولُ: ثُمَّ صَلُّوا عليَّ، فإنَّهُ مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً، صلَّى الله عليه بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الوَسِيلَةَ، فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجنَّةِ لا تَنْبَغِي إلَّا لعَبْدٍ من عبادِ الله، وأرجُو أنْ أكونَ أنا هو، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوسيلةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن عمر بنِ الخطَّابِ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إذَا قَالَ المؤذِّنُ: الله أكبرُ اللهُ أكبرُ، فقَالَ أحَدُكُمْ: الله أكبرُ اللهُ أكبرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا الله، فَقَالَ: أَشْهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا الله، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله، قالَ: أشهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله، ثُمَّ قَالَ: حيَّ على الصلاةِ، قال: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بالله، ثم قَالَ: حيَّ على الفلاح، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بالله، ثُمَّ قَالَ: الله أكبرُ الله أكبرُ، قالَ: الله أكبرُ الله أكبرُ، ثُمَّ قال: لا إله إلا الله، قَالَ: لا إلهَ إلَّا الله مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الجنَّةَ»(٢).

وفي «صحيح البخاري» عن جابر: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القائِمَةِ، آتِ محمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقامًا محمُودًا الذي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يومَ القيامةِ»(٣).

وفي الترمذي عن أنسٍ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأذَانِ والإقَامَةِ»، قالوا: فماذا نقولُ يا رسولَ الله؟ قال: «سلوا الله العافيةَ في الدنيا والآخرةِ»(٤). قال الترمذيُّ: حديثٌ حسن صحيح.

وعن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ، عن رسولِ الله ﷺ قالَ: «مَنْ قَالَ حين يَسْمَعُ المؤذِّنَ: وأنا أَشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَرِيكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، رَضِيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ ﷺ رسولًا، غَفَرَ الله له ذُنُوبَهُ»(٥) رواه مسلم.

فهذه خمسُ سننٍ في الأذانِ: إجابتُهُ، وقولُ: رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا

---

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) مسلم (٣٨٥).

(٣) البخاري (٦١٤).

(٤) الترمذي (٣٥٩٤، ٣٥٩٥)، وأبوداود (٥٢١).

(٥) مسلم (٣٨٦).

وبمحمَّدٍ ﷺ رسولًا حينَ يَسْمَعُ التشهدَ، وسؤالُ الله تعالى لرسولِهِ ﷺ الوَسِيلَةَ والفضيلةَ، والصلاةُ عليه ﷺ، والدعاءُ لنفسِهِ ما شاءَ.

● ● ● ● ●

في أذكارِ الاستفتاحِ

في «الصحيحينِ» أن النبيَّ ﷺ كانَ يقولُ في اسْتِفْتَاحِهِ: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْني وبين خَطَايَايَ، كما باعَدْتَ بَيْنَ المشْرِقِ والمغْرِبِ، اللَّهُمَّ نقِّني من خَطَايَايَ، كما يُنَقَّى الثَّوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلني من خَطَايَايَ بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ»(١).

وفي «السنن الأربعة»، عن عائشةَ وأبي سعيدٍ وغيرِهما، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلاةَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وتَبَارَكَ اسْمُكَ، وتعالى جَدُّك، وَلَا إلهَ غيرُكَ»(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا قَامَ إلى الصَّلاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمواتِ والأرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المشركينَ، إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي وَمَحْيَايَ ومَمَاتِي لله ربِّ العالمينَ، لا شَريكَ له، وبذلك أُمِرْتُ وأَنَا مِنَ المُسلمينَ، اللَّهُمَّ أنتَ الملِكُ لا إلهَ إلَّا أنْتَ، أنْتَ رَبِّي وأنا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، واعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فاغْفِر لي ذُنُوبي جميعًا، إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنتَ، واهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِها إلَّا أنتَ، واصْرِفْ عَنِّي سيِّئَها لا يَصْرِفُ عنِّي سيِّئَها إلَّا أنتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، والخيرُ كلُّهُ في يَدَيْكَ، والشَّرُّ ليس إليكَ، أنا بكَ وإليكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأتُوبُ إليكَ»(٣).

وفي «الصحيحين»: عن ابنِ عبَّاسٍ قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ إذا قَامَ إلى الصَّلاةِ من جَوْفِ الليلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أنتَ نورُ السَّمواتِ والأرْضِ ومَنْ فيهنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أنتَ قَيَّامُ السَّمواتِ والأَرْضِ وَمَنْ فيهنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أنتَ ربُّ السَّمواتِ

(١) البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

(٢) الترمذي (٢٤٢، ٢٤٣)، وأبوداود (٧٧٥، ٥٥٦)، والنسائي (٩٠٠)، وابن ماجه (٨٠٤).

(٣) مسلم (٣٩٩).

والأرضِ ومَنْ فِيهنَّ، ولَكَ الحَمْدُ، أنتَ الحقُّ، وَوَعْدُكَ الحقُّ، وَقَوْلُكَ الحقُّ، ولقاؤُكَ حقّ، والجنَّةُ حقّ، والنارُ حقٌّ والنَّبيونَ حقّ، ومحمَّدٌ ﷺ حقّ، والسَّاعةُ حقّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وعليك تَوكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإِلَيكَ حَاكَمْتُ، فاغفِرْ لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، أنت إلهي لا إله إلا أنتَ»[١].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ذكرِ الركوعِ والسجودِ والفصلِ بينهما وبينَ السجدتينِ

في «السنن الأربعة» عن حذيفةَ رَضِي الله تعالى عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ إذا رَكَعَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ» ثلاثَ مَرَّاتٍ. وإذا سَجَدَ قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَى» ثلاثَ مَرَّاتٍ[٢].

وفي «الصحيحينِ» عن عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ أنْ يقولَ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عنها رَضِيَ الله عنها: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ في رُكُوعِهِ وسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، ربُّ الملائكةِ والرُّوحِ»[٤].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، ملءَ السَّمواتِ، ومِلْءَ الأرضِ، ومِلْءَ ما بَيْنَهما، ومِلءَ ما شِئْتَ من شيءٍ بَعْدُ، أهلَ الثَّناءِ والمجْدِ، أحقُّ مَا قَالَ العبدُ، وكُلُّنا لك عبْدٌ، اللَّهم لا مانعَ لما أَعْطَيْتَ، ولا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ، ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»[٥].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ

---

(١) البخاري (١١٢٠، ٦٣١٧، ٧٤٤٢)، ومسلم (٧٦٩).
(٢) الترمذي (٢٦٢)، وأبوداود (٨٧١)، وابن ماجه (٨٨٨).
(٣) البخاري (٧٩٤، ٨١٧، ٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).
(٤) مسلم (٤٨٧).
(٥) مسلم (٤٧٧).

من ربِّهِ وهو ساجدٌ، فأكْثِرُوا الدُّعاءَ»[١].

وعنه رَضِيَ الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ في سجودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي كلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وأوَّلَهُ وآخِرَهُ، وعلانيتَهُ وسِرَّهُ»[٢].

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: افْتَقَدْتُ النبيَّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ من الفراشِ فالتَمَسْتُهُ فوَقَعَتْ يَدِي على بَطْنِ قَدَمَيْهِ وهو في المسجدِ وهما مَنْصُوبتانِ وهو يقولُ: «اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرَضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبمعافاتِكَ من عُقُوبتِكَ، وأعُوذُ بك مِنْكَ، لا أُحْصِي ثناءَ عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ»[٣]. روى مسلم هذه الأحاديث.

وفي «سنن أبي داود» عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ بين السَّجْدَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لي، وارْحَمْني، واهْدِنِي، واجْبُرْنِي، وعَافِنِي، وارْزُقْنِي»[٤].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في أدعيةِ الصلاةِ وبعدَ التشهدِ

في «الصحيحينِ» عن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذَا فَرَغَ أَحدُكُمْ مِن التَّشَهُّدِ الآخر، فَلْيَتَعَوَّذْ بالله مِنْ أَرْبَع: مِنْ عَذَاب القَبْرِ، ومِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، ومِنْ فِتْنَةِ المحيا والمماتِ، ومِنْ شرِّ فِتْنَةِ المسيح الدجَّالِ»[٥].

وقد تقدم في «الصحيحينِ»، أنَّ أبا بَكْرٍ الصدِّيق رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ لرسولِ الله ﷺ: عَلِّمْنِي دعاءً أدعُو به في صلاتِي، فقَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، فاغْفِرْلي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدَكَ، وارْحَمْني، إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ»[٦].

---

(١) مسلم (٤٨٢).

(٢) مسلم (٤٨٣).

(٣) مسلم (٤٨٦).

(٤) أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤).

(٥) البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٦) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

وفي «صحيحِ مسلم» من حديثِ عليٍّ رضي الله عنه في صِفَةِ صلاةِ رسولِ الله ﷺ أنَّه كَانَ يقول من آخرِ ما يقولُ بين التشهدِ والتسليم: «**اللَّهُمَّ اغْفِر لي ما قدمتُ وما أَخَّرْتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ وما أسرفْتُ، وما أنْتَ أعلمُ به مِنِّي، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لا إله إلا أنت**»(١).

وفي «سنن أبي داود» أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ لرجلٍ: «**كَيْفَ تقولُ في الصَّلاةِ؟**» قَالَ: أَتَشَهَّدُ وأقولُ: اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ الجنَّـةَ، وأعُوذُ بِكَ من النَّارِ، أَمَا إِنِّي لا أُحْسِن دَنْدَنَتَكَ ولا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»(٢).

وفي «سننِ النسائيِّ»: أنَّ عَمَّارَ بنَ ياسرٍ صلَّى صلاةً، وَدَعَا فيها بدَعَوَاتٍ وقَالَ: سَمِعْتُهُنَّ من رسولِ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ بعِلْمِكَ الغيبَ، وقُدرَتِكَ على الخَلْقِ، أحْيني إذا عَلِمْتَ الحياةَ خيرًا لي، وَتوفَّني إذا عَلِمْتَ الوفاةَ خيرًا لي، اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ خَشْيَتَكَ في الغيْبِ والشَّهَادةِ، وأسأَلُكَ كلمةَ الحقِّ في الغَضَبِ والرِّضَى، وأسألكَ القَصْدَ في الفَقْرِ والغِنَى، وأسأَلُكَ نعيمًا لا ينفَدُ، وأسأَلُكَ قُرَّةَ عينٍ لا تَنْقَطِعُ، وأسأَلُكَ الرِّضَى بعدَ القَضَاءِ، وأسأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بعدَ الموْتِ، وأسأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريم، والشَّوْقَ إلى لقائِكَ، في غيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فِتْنَةٍ مَضِلَّةٍ، اللهُمَّ زَيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ، واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**»(٣).

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الأذكارِ المشروعةِ بعد السلامِ، وهو إدبارُ السجودِ

في «صحيح مسلم» عن ثَوْبَانَ رَضِيَ الله عنه قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا انْصَرَفَ من صلاتِهِ اسْتَغْفَرَ الله ثلاثًا وقَالَ: «**اللَّهُمَّ أنتَ السَّلامُ، ومِنْكَ السَّلامُ، تَبارَكْتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ**»(٤).

(١) مسلم (٧٧١).

(٢) أبو داود (٧٩٢)، وابن ماجه (٩١٠).

(٣) النسائي (١٣٠٥).

(٤) مسلم (٥٩١).

وفي «الصحيحينِ» عن المغيرةِ بنِ شُعْبَةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إذا فَرَغَ من الصَّلاةِ قَالَ: «لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَرِيكَ له، له الملكُ، وله الحَمْدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قَديرٌ، اللَّهُمَّ لا مانعَ لما أعْطَيتَ، ولا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ، ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[1].

وفي «صحيح مسلم» عن عبدِ الله بنِ الزُّبيرِ رضي الله تعالى عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُهَلِّلُ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ حينَ يُسَلِّمُ بهؤلاءِ الكلماتِ: «لا إلهَ إلَّا الله وحدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ، وله الحَمْدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، لا إله إلَّا الله، ولا نعبُدُ إلَّا إيَّاهُ، له النِّعْمَةُ ولَهُ الفَضْلُ، ولَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لا إله إلا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ولو كَرِهَ الكافرونَ»[2].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ، عَنْ رسولِ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثَلاثِينَ، وكبَّرَ الله ثلاثًا وثلاثينَ، وحَمِدَ الله ثلاثًا وثلاثينَ، وقَالَ تَمامَ المائةِ: لا إله إلَّا الله وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وله الحَمْدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وإنْ كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[3].

وفي «السُّننِ» عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قَالَ: «أَمَرني رسولُ الله ﷺ أنْ أَقْرَأَ بالمُعَوِّذَتَيْنِ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ»[4].

وفي «النسائيِّ الكبيرِ» عن أبي أمامةَ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيةَ الكُرْسِي عَقِبَ كلِّ صلاةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إلَّا أنْ يموتَ»[5]، يعني لم يكن بينَهُ وبَيْنَ دخولِ الجنة إلَّا الموت.

⦿ ⦿ ⦿ ⦿ ⦿

---

(١) البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) مسلم (٥٩٤).

(٣) مسلم (٥٩٧).

(٤) الترمذي (٢٩٠٣)، وأبو داود (١٥٢٣)، والنسائي (١٣٣٦).

(٥) النسائي في الكبرى (٩٩٢٨).

في ذكرِ التشهدِ

ثَبَتَ في «الصحيحين» عن عبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: علَّمَنِي رسولُ الله ﷺ التشهُّدَ – وكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ – كما يُعَلِّمُني سورةً مِنَ القرآنِ: «التَّحِيَّاتُ لله، والصَّلَوات والطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ ورحمةُ الله وبركاتُهُ، السَّلامُ عَلَينا وعَلَى عبادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَشْهَدُ أَنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ»[1].

وفي «صحيح مسلم» عن ابنِ عبَّاسٍ قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السورةَ مِنَ القرآنِ، وكانَ يقولُ: «التَّحِيَّاتُ المبَارَكَاتُ، والصَّلَواتُ الطَّيِّبَاتُ لله، السلامُ عليك أَيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُهُ، السَّلامُ علينا وعَلَى عبادِ الله الصَّالحينَ، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأَشْهَدُ أَنَّ محمَّدًا رَسُولُ الله»[2].

وفي «صحيح مسلم»، عن أبي موسى، أَنَّ النبيَّ ﷺ عَلَّمَهُم التشهدَ: «التَّحِيَّاتُ الطَّيِباتُ، الصَّلَوَاتُ لله، السَّلامُ عليك أَيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُهُ، السَّلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحينَ، أشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله، وأشهدُ أَنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ»[3].

فأيّ تشهدٍ أتى به من هذه التشهداتِ أجزأه.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ذكرِ الصلاةِ على النبيِّ ﷺ

في «الصحيحين» عن كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قال: خَرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ فقلنا: يا رَسُولَ الله قَدْ عَرَفْنَا كيف نُسَلِّمُ عليكَ، فكيف نُصَلِّي عليك؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ مُحَمَّدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، كما صَلَّيْتَ على إبراهيمَ وعلى آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ على محمدٍ، وعلى آلِ محمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيمَ، إِنَّكَ حميدٌ

---

(١) البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) مسلم (٤٠٣).

(٣) مسلم (٤٠٤).

مجيدٌ»(١).

وفي «الصحيحين» أيضًا: عن أبي حُميدٍ الساعديِّ أنهم قالوا: يا رَسُولَ الله، كيف نُصَلِّي عليك؟ قال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ على محمدٍ، وعلى أزواجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ على آلِ إبراهيمَ، وبَارِكْ على محمَّدٍ، وعلى أزواجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبراهيمَ، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ»(٢).

● ● ● ● ●

في ذكرِ الاستخارةِ

في «صحيح البخاريِّ» عن جابرٍ قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنا الاسْتِخَارَةَ في الأمْرِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السورةَ من القرآنِ، يقولُ: «إذا هَمَّ أحدُكُمْ بالأمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ من غيرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ من فَضْلِكَ العظيم، فإنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ، وأَنْتَ علَّامُ الغيوبُ، اللَّهُمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ - ويُسَمِّي حاجَتَهُ - خيرٌ لي في دِيني ومَعَاشي وعاقبةِ أمري، فاقْدُرْهُ لي، وَيَسِّرْهُ لي، ثُمَّ بَارِكْ لي فيه، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمرَ شرٌّ لي في دِيني ومَعَاشِي وعاقبةِ أمْرِي فاصْرِفْهُ عنِّي، واصْرِفْنِي عَنْهُ، واقدُرْ لي الخيرَ حيثُ كانَ، ثُمَّ رَضِّني به»(٣).

وكان شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رضي الله عنه يقول: ما نَدِمَ مَن اسْتَخَارَ الخالقَ، وَشَاوَرَ المخلوقينَ، وتَثَبَّت في أمرِه. وقد قالَ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال قتادةُ: ما تَشَاوَرَ قومٌ يَبْتَغُونَ وجهَ الله إلَّا هُدُوا إلى أَرْشَدِ أمرِهم.

● ● ● ● ●

(١) البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٢) البخاري (٣٣٦٩، ٦٣٦٠)، ومسلم (٤٠٧).

(٣) البخاري (١١٦٦، ٦٣٨٢).

في أذكارِ الكربِ والغمِّ والحُزنِ والهمِّ

في «الصحيحين»: عن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ عند الكَرْبِ: «لا إلهَ إلا اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إلهَ إلَّا الله ربُّ العَرْشِ العظيمِ، لا إلهَ إلَّا الله ربُّ السَّمَوَاتِ، وربُّ الأَرْضِ، وربُّ العَرْشِ الكريمِ»(١).

وفي الترمذيِّ عن أنسٍ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا حَزَبَهُ أمرٌ قَالَ: «يا حيُّ يا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»(٢).

وفي «سنن أبي داود» عن أبي بكرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «دَعَواتُ المكْرُوبِ: اللهُمَّ رَحْمَتَكَ أرجُو، فلا تَكِلْنِي إلى نفسي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لي شَأني كلَّهُ، لا إلهَ إلَّا أنتَ»(٣).

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاصٍ قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «دَعْوَةُ ذي النُّون إذ دَعَا وهو في بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] لم يَدْعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ، إلا اسْتُجِيبَ له»(٤).

وفي روايةٍ له: «إني لأَعْلَمُ كلمةً لا يقولُها مَكْرُوبٌ إلَّا فَرَّجَ الله عنه، كلمةَ أخي يُونُسَ عليه السلامُ»(٥).

وفي «مسندِ الإمام أحمد» و«صحيح ابن حِبانَ» عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَصَابَ عَبْدًا همٌّ ولا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إني عَبْدُكَ ابنُ عَبْدِكَ ابنُ أَمَتِكَ، ناصيَتِي بِيَدِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بكلِّ اسم هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كتابِكَ، أو عَلَّمْتَهُ أحَدًا من خَلْقِكَ، أو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أنْ

(١) البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) الترمذي (٣٥٢٤).

(٣) أبو داود (٥٠٩٠).

(٤) الترمذي (٣٥٠٥).

(٥) ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٢). وأبو يعلى في «المعجم» (٢٥٨).

تَجْعَلَ القرآنَ رَبيعَ قَلْبِي، ونورَ بَصَرِي، وجَلَاءَ حُزْنِي، وذهابَ هَمِّي، إلَّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وحُزْنَهُ، وأبدَلَهُ مكانَهُ فَرَحًا»(١).

● ● ● ● ●

في الأذكارِ الجالبةِ للرزقِ الدافعةِ للضِّيقِ والأذى

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوحٍ ﷺ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

عن ابن عباسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ؛ جَعَلَ الله له من كلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ومن كلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ من حيثُ لا يَحْتَسِبُ»(٢).

● ● ● ● ●

في الذكرِ عند لقاءِ العدوِّ ومن يخافُ من سلطانٍ وغيرِه

في «سنن أبي داودَ» و«النسائيِّ»، عن أبي موسى الأشعريِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا خَافَ قَوْمًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إنَّا نَجْعَلُكَ في نُحُورِهِم، ونعوذُ بِكَ من شُرُورِهِم»(٣).

ويُذْكَرُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه كانَ يقولُ عندَ لقاءِ العدوِّ: «اللَّهُمَّ أنتَ عَضُدِي وأنْتَ نَاصِرِي وَبِكَ أُقَاتِلُ»(٤).

وفي «صحيح البخاريِّ» عن ابنِ عبَّاسٍ قَالَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إبْراهيمُ ﷺ حينَ أُلْقِيَ في النَّارِ، وقَالَهَا محمَّدٌ ﷺ حين قَالَ له النَّاسُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾(٥) [آل عمران: ١٧٣].

---

(١) أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢).

(٢) أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩).

(٣) أبو داود (١٥٣٧)، وأحمد (٤/ ٤١٤).

(٤) أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وأحمد (٣/ ٣٨٤).

(٥) البخاري (٤٥٦٣).

في الأذكارِ التي تطردُ الشيطانَ

قد تقدَّمَ أنَّ مَنْ قرأ آيةَ الكرسيِّ عند نومِه لم يَقْرَبْهُ شيطانٌ، وأنَّ مَنْ قرأ الآيَتَيْنِ مِنْ آخرِ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ كَفَتَاهُ، ومَنْ قَالَ في يومٍ مائةَ مرةٍ: لَا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، كانت له حِرْزًا من الشيطان يومَهُ كلَّهُ[(١)].

وقد قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٧ – ٩٨].

وكان النبيُّ ﷺ يقولُ: «أَعُوذُ بالله السميعِ العليمِ، من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ ونَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»[(٢)].

وقال سبحانَه وتعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦].

والأذانُ يطردُ الشيطان كما تقدَّم.

وفي «صحيح مسلم» عن عثمانَ بنِ أبي العاص رضي الله عنه أنه قال: يا رَسُولَ الله، إنَّ الشيطانَ حَالَ بيني وبينَ صلاتي وبين قراءتي يَلْبِسُها عليَّ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «ذَاكَ شيطانٌ يُقَالُ له: خِنْزَب، فإذا أَحْسَسْتَهُ فتعوَّذْ بالله منه، واتْفُلْ عن يَسَارِكَ ثلاثًا» ففعلتُ ذلك، فأذْهَبَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عنِّي[(٣)].

ومن أعظم ما يندفع به شرُّه بـ قراءةَ المعوِّذتين، وأولِ الصَّافاتِ وآخرِ الحشرِ.

---

(١) تقدم تخريج ذلك كله.

(٢) الترمذي (٢٤٢)، وأبوداود (٧٧٥)، وأحمد (٣/ ٥٠).

(٣) مسلم (٢٢٠٣).

في الذكرِ الذي تُحفظ به النعمُ، وما يقال عند تَجَدُّدِها

قال الله سبحانه وتعالى في قصةِ الرجلين: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. فينبغي لمن دَخَلَ بستانَهُ، أو دارَهُ، أو رأى في مالِه وأهلِه ما يُعْجِبُهُ أنْ يُبَادِرَ إلى هذه الكلمةِ، فإنَّه لا يَرَى فيه سوءًا.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ عند المصيبةِ

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وقالتْ أمُّ سَلَمة: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فيقولُ: إنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أجِرْنِي في مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لي خيرًا منها، إلَّا آجَرَهُ الله تعالى في مصيبتِهِ، وأَخْلَفَ له خيرًا منها»، قالت: فلمَّا تُوفِّي أبو سَلَمَةَ قلتُ كَمَا أَمَرَني رسُولُ الله ﷺ، فأخْلَفَ الله لي خيرًا منه، رسولَ الله ﷺ[١].

وَرُوِيَ أيضًا عنها رَضِيَ الله عنها قالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ على أبي سَلَمَة وقد شَقَّ بصرُهُ[٢]، فأغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إنَّ الرُّوحَ إذا قُبِضَ تَبِعَهُ البصرُ»، فَضَجَّ ناسٌ من أهلِهِ، فقالَ: «لا تَدْعُوا على أنفُسِكُمْ إلَّا بخيرٍ، فإنَّ الملائكةَ يُؤَمِّنونَ على ما تقولون» ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأبي سَلَمة، وارْفَعْ درجتَهُ في المَهْدِيينَ، واخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغابرينَ، واغْفِرْ لنا وله يا ربَّ العالمينَ، وافْسَحْ له في قبرِهِ، ونَوِّرْ لَهُ فيه»[٣].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

---

(١) مسلم (٩١٨).

(٢) شق بصره: انفتح وشخص نحو شيء معين.

(٣) مسلم (٩٢٠).

في الذكرِ الذي يُدفَعُ به الدَّيْنُ ويُرجى قَضَاؤه

في الترمذيِّ عن عليٍّ رَضِيَ الله عنه، أنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إنِّي عَجَزْتُ عن كِتَابتي فأعنِّي، فقال: أَلَا أعلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمنيهُنَّ رسولُ الله ﷺ، لو كان عليك مِثْلُ جَبَلِ أحدٍ دينًا إلا أدَّاهُ الله عنك، قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِني بحلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عمَّنْ سِوَاكَ»(١) قال الترمذي: حديثٌ حسن.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ الذي يُرقى به من اللسعةِ واللدغةِ وغيرِهما

في «صحيح البخاري» عن عبدِ الله بن عباسٍ رضي اللهُ تعالى عنهما قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَينَ رَضِيَ الله عنهما ويقولُ: «إنَّ أباكما كان يُعوِّذُ بها إسماعيلَ وإسحاقَ: أُعِيذُكُما بكلماتِ الله التَّامَّةِ، من كلِّ شيطانٍ وهامَّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامَّةٍ»(٢).

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، أنَّ رجلًا مِنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ رَقَى لديغًا بفاتِحَةِ الكتابِ، فَجَعَلَ يَتْفُلُ عليه ويقرأُ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فكأنما نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فانْطَلَقَ يَمْشِي وما به قَلَبَةٌ(٣).

وفي «الصحيحينِ» عن عائشةَ رضي اللهُ عنها: «أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يعوِّذُ بعضَ أهلِهِ، يَمْسَحُ بيدِهِ اليُمْنَى ويقولُ: «اللَّهُمَّ ربَّ الناسِ، أَذْهِبِ البأسَ، واشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاءُكَ، شِفَاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا»(٤).

وفي «صحيح مسلم» عن عثمانَ بنِ أبي العاصِ رضي الله عنه: أنَّه شَكَا إلى رسولِ الله ﷺ وَجَعًا يجِدُهُ في جسدِهِ مُنْذُ أَسلَم، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ على الذي يألَمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِسْمِ الله – ثلاثًا – وقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بعزَّةِ الله وقُدْرَتِهِ مِنْ شرِّ ما أَجِدُ

---

(١) الترمذي (٣٥٦٣)، وأحمد (١/ ١٥٣).

(٢) البخاري (٣٣٧١).

(٣) البخاري (٢٢٧٦، ٥٧٤٩)، ومسلم (٢٢٠١)، ومعنى قلبه: ألم ووجع.

(٤) البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

وأحاذِرُ»[١].

وفي «السنن» عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لم يَحْضُرْ أجلُهُ، فَقَالَ عندَهُ سَبْعَ مرَّاتٍ: أَسْأَلُ الله العظيمَ ربَّ العَرْشِ العظيمِ، أن يَشْفِيَكَ، إلَّا عافَاهُ الله تعالى»[٢].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ذكرِ دخولِ المقابرِ

في «صحيح مسلم» عن بُريدةَ بنِ الحُصَيْبِ، قال: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُهم إذا خَرَجُوا إلى المقَابِرِ، أنْ يَقُولَ قَائِلُهُم: «السَّلامُ عليكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ من المؤمنينَ والمسلمينَ، وإنَّا إنْ شَاءَ الله بكم لَاحِقُون، نَسْأَلُ الله لنا ولَكُمْ العافيةَ»[٣].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ذكرِ الاستسقاءِ

قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١١].

عن جابرِ بنِ عبدِ الله قَالَ: أَتَت النبيَّ ﷺ بَوَاكٍ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا مَرِيعًا، نَافِعًا غيرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غيرَ آجِلٍ» فأَطْبَقَتْ عليهم السَّماءُ[٤].

وفي «سنن أبي داودَ» عن عبدِ الله بنِ عمرٍو قَالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبادَكَ وبهَائِمَكَ، وانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الميتَ»[٥].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

---

(١) مسلم (٢٢٠٢).

(٢) أبوداود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٤)، وأحمد (١/ ٢٣٩، ٢٤٢).

(٣) مسلم (٩٧٥).

(٤) أبوداود(١١٦٩).

(٥) أبو داود (١١٧٦).

في أذكارِ الريح إذا هاجَتْ

وفي «صحيح مسلم» عن عائشةَ قالَتْ: كانَ النبيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتْ الريحُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وخَيْرَ ما فيها، وخَيْرَ ما أُرْسِلَتْ به، وأَعُوذُ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها وشرِّ ما أُرْسِلَتْ به»[١].

وفي «سننِ أبي داودَ» عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى ناشِئًا في أُفُقِ السَّماءِ تَرَكَ العملَ، وإنْ كَانَ في صلاةٍ، ثُمَّ يقولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّها» فإنْ أَمْطَرَتْ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا»[٢].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ عند الرعدِ

كان عبدُ الله بنُ الزُّبير رضي الله عنهما إذا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الحَدِيثَ فَقَالَ: سُبْحَانَ الذي يُسبِّحُ الرعدُ بحمده، والملائكةُ مِن خيفتِه.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ عند نزولِ الغيثِ

في «الصحيحينِ» عن زيدِ بنِ خالد الجُهَنِيِّ قَالَ: صلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبْحِ بالحُدَيْبِيةِ في إِثْرِ سماءٍ[٣] كانَتْ من الليلِ، فلمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ على الناسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قالُوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قَالَ: قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فذلكَ مؤمنٌ بي، وكافرٌ بالكواكبِ، وأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطرنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَاكَ كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكواكبِ»[٤].

وقد قيل: «إِنَّ الدُّعَاءَ عِنْدَ نُزُولِ الغَيْثِ مُسْتَجابٌ».

---

(١) أبو داود (٥٠٩٩)، وابن ماجه (٣٨٨٩)، وأحمد (٦/ ١٩٠).

(٢) صيبًا هنيًا: منهمرًا نافعًا.

(٣) سماء: مطر.

(٤) البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١).

وفي «صحيح البخاريِّ» عن عائشةَ رَضِيَ الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إِذَا رَأَى المطرَ قَالَ: «**صَيِّبًا نافِعًا**»[١].

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عنه قَالَ: أَصَابَنا ونحن مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مَطَرٌ، فَحَسَرَ رَسُولُ الله ﷺ ثَوْبَهُ حتى أَصَابَهُ مِنَ المطرِ، فَقُلْنَا: يا رسولَ الله، لِـمَ صَنَعْتَ هذا؟ قَالَ: «**لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بربِّهِ**»[٢].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ والدعاءِ عند زيادةِ المطرِ وكثرةِ المياه والخوفِ منها

في «الصحيحين» عن أنسٍ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ الـمَسْجِدَ يومَ جُمُعةٍ، وَرَسُولُ الله ﷺ قائمٌ يَخْطُبُ الناسَ، فَقَالَ: يا رَسُولَ الله، هَلَكَتِ الأمْوَالُ، وانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فادْعُ الله يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يديْهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**» قَالَ أنسٌ: ولا والله ما نَرَى في السَّماءِ مِنْ سَحابٍ ولا قَزَعَةٍ[٣]، وما بيننا وبين سَلْعٍ[٤] من بَيْتٍ ولا دارٍ، فَطَلَعَتْ مِنْ ورائِهِ سَحابةٌ مثلَ التُّرْسِ، فلمَّا تَوَسَّطَتِ السَّماءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا والله ما رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا، ثم دَخَلَ رجلٌ من ذلك البابِ في الجُمُعَةِ المقبلةِ، ورَسُولُ الله ﷺ قائمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قائِمًا فقَالَ: يا رَسُولَ الله، هَلَكَتِ الأمْوَالُ، وانْقَطَعتِ السُّبُلُ، فادْعُ الله يُمْسِكُها عنَّا، فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يديْهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَينا ولَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ**[٥] **والظِّرَابِ**[٦]**، وبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجرِ**» قَالَ فَأَقْلَعَتْ، وخَرَجْنَا نَمْشِي في الشَّمْسِ[٧].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

---

(١) البخاري (١٠٣٢).

(٢) مسلم (٨٩٨).

(٣) قزعة: قطعة السحاب.

(٤) سلع: جبل بقرب المدينة.

(٥) الآكام: جمع أكمة وهي التل الذي هو دون الجبل.

(٦) الظراب: جمع ظَرِب وهي الروابي الصغار.

(٧) البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

في الذكرِ عند رؤيةِ الهلالِ

عَنْ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ قَالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَأى الهِلالَ قَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بالأَمْنِ والإيمانِ، والسَّلامةِ والإسلامِ والتوفيقِ لما تُحِبُّ وَتَرْضَى، رَبُّنا وربُّكَ الله»[١].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ للصائمِ وعند فطرِه

عن أبي هريرةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهم: الصَّائِمُ حين يُفْطِرُ، والإمامُ العَادِلُ، ودَعْوَةُ المظلومِ»[٢] رواه الترمذيُّ وقال: حديث حسن.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في أذكارِ السفرِ

كانَ ابنُ عُمَرَ يَقُولُ للرَّجلِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا: ادْنُ مني أُوَدِّعْكَ، كَما كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُودِّعُنا، فيقولُ: «أَسْتَودِعُ اللهَ دينَكَ وأمانَتَكَ وَخَواتِيمَ عَمَلِكَ»[٣].

ومن وجهٍ آخر: كانَ النبيُّ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بيدِهِ، فلا يَدَعُها حتى يكونَ الرجُلُ هو الذي يَدَعُ يدَ النبيِّ ﷺ[٤]... وَذَكَرَ تمامَ الحَدِيثِ. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسن.

وقَالَ أنسٌ رضي الله عنه: جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ الله، إني أُريدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي، فقَالَ: «زَوَّدَكَ اللهُ التَّقوى»، قال: زِدْني، قَالَ: «وَغَفَرَ ذَنْبَكَ»، قال: زِدْنِي، قَالَ: «وَيَسَّر لك الخَيْرَ حيثُما كُنْتَ»[٥] قال الترمذيُّ هذا: حديث حسنٌ.

---

(١) الدارمي (١٦٨٧)، والحاكم (٤/ ٣١٧).

(٢) الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢).

(٣) أبوداود (٢٦٠٠)، والترمذي (٣٤٤٢)، وابن ماجه (٢٨٢٦).

(٤) الترمذي (٣٤٤٢).

(٥) الترمذي (٣٤٤٤).

وعن أبي هريرةَ أنَّ رجلًا قالَ: يا رَسُولَ الله، إنِّي أُريدُ أن أسافرَ فأَوْصِنِي، قال: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله عزَّ وجلَّ، والتكْبيرِ على كلِّ شَرَفٍ»[١]، فلمَّا ولى الرجلُ قال: «اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ البُعْدَ، وهَوِّنْ عليه السَّفَرَ»[٢] قال الترمذيُّ: حديث حسن.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ركوبِ الدابةِ والذكرِ عنده

وفي «صحيح مسلم» عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ رضيَ الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إذا اسْتَوَى عَلَى بعيرِهِ خَارِجًا إلى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثلاثًا ثم قال: « ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴾ ، اللَّهُمَّ إنَّا نسأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا البرَّ والتقوى، ومِنَ العَمَلِ ما تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنا هذا، واطْوِ عنَّا بُعدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخليفةُ في الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ من وَعْثَاءِ السَّفَرِ[٣]، وكَآبَةِ المَنْظَرِ[٤]، وَسُوءِ الـمُنْقَلَبِ في المالِ والأَهْلِ»، وإذا رَجَعَ قَالَهُنَّ وزَادَ فيهنَّ: «آيبُونَ، تَائِبُونَ، عابِدُونَ، لربِّنا حامدون»[٥].

وفي وجهٍ آخرَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ وأصحابُهُ رَضِيَ الله عَنْهُمْ إذا عَلَوا الثَّنَايَا[٦] كَبَّرُوا، وإذا هَبَطُوا سَبَّحُوا[٧].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ذكرِ الرجوعِ من السفرِ

قال عبدُ الله بنُ عُمَرَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنْ حَجٍّ، أو عُمْرَةٍ أو غَزْوٍ، يُكَبِّرُ على كلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إلا الله وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ،

---

(١) شرف: المكان المرتفع.

(٢) الترمذي (٣٤٤٥).

(٣) وعثاء السفر: مشقته وشدته.

(٤)كآبة المنظر: قبحه.

(٥) مسلم (١٣٤٢).

(٦) الثنايا: جمع ثنيّة وهي الطرق العالية .

(٧) أبو داود (٢٥٩٩).

لَهُ الـمُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وهو عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ، آيبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُون، لِرَبِّنَا حامِدُون، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأَحْزَابَ وحدَهُ»(١). رواه البخاريُّ ومسلم.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ عند القريةِ أو البلدةِ إذا أراد دخولَها

عن صُهيبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ لَـمْ يَرَ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَها إلَّا قَالَ حين يراها: «اللَّهُمَّ ربَّ السَّمواتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وربَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وربَّ الشَّياطِينَ وما أَضْلَلْنَ، وَربَّ الرِّياحِ وما ذَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذه القريةِ وخَيْرَ أَهْلِهَا، وخَيْرَ ما فيها، وأَعُوذُ بك من شرِّها وشرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ ما فيها»(٢) رواه النسائي.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ذكر المنزلِ يريدُ نزولَه

قَالَتْ خَوْلَةُ بنتُ حكيم رضي الله عنها: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ من شرِّ مَا خَلَقَ، لَـمْ يَضُرَّهُ شيءٌ حتى يَرْتَحِلَ من منزلِهِ ذلك»(٣). رواه مسلم.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ذكرِ الطعامِ والشرابِ

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال عُمَرُ بنُ أبي سَلَمة رَضِيَ الله عَنْهُ: قَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «يا بُنيَّ، سَمِّ الله

---

(١) البخاري (٦٣٨٥)، ومسلم (١٣٤٤).

(٢) النسائي في الكبرى (٨٨٢٦، ٨٨٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٥٢)، والطبراني في الكبير (٧١٤٦).

(٣) مسلم (٢٧٠٨).

تعالى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[١] متفق عليه.

وقالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله تعالى في أَوَّلِهِ، فإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسمَ الله تعالى في أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْم الله أَوَّلَهُ وآخِرَهُ»[٢]، قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيح.

وقال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله لَيَرضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عليها، ويَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عليها»[٣]. رواه مسلمٌ في «صحيحِه» من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه.

وعن معاذِ بنِ أنسٍ الجهنيِّ رَضِيَ الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ أَو شَرِبَ فَقَالَ: الحَمْدُ لله الذي أَطْعَمَنِي هذا الطَّعامَ، وَرَزَقَنِيهِ من غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي ولا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٤]، قال الترمذيُّ حديثٌ حسنٌ.

وذكر النسائيُّ عن رَجُلٍ خَدَمَ النبيَّ ﷺ أَنَّهُ كانَ يَسْمَعُ النبيَّ ﷺ إِذَا قُرِّبَ إليه طَعَامُهُ يَقُولُ: «بِسْمِ الله» وإذا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ، وأَغنَيْتَ وأَقْنَيْتَ[٥]، وهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ، فَلَكَ الحَمْدُ على ما أَعْطَيْتَ»[٦].

وفي «صحيح البخاري» عن أبي أمامةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الحَمْدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مُبَارَكًا فيه، غيرَ مَكْفِيٍّ ولا مودَّعٍ ولا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنا»[٧].

● ● ● ● ●

---

(١) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٢) أبوداود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٧٥٧).

(٣) مسلم (٢٧٣٤).

(٤) أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥).

(٥) أقنيت: حفظت.

(٦) أحمد (٤/ ٦٢، ٣٣٧)، والنسائي في الكبرى (٦٨٩٨).

(٧) البخاري (٥٤٥٨).

في ذكرِ الضيفِ إذا نزل بقوم

عَنْ عبدِ الله بنِ بُسْرٍ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى أبي فقرَّبنا إليه طَعَامًا وَوَطْبَةً[١]، فَأَكَلَ منها، ثم أُتِيَ بتَمْرٍ، فكانَ يأكلُهُ ويُلْقِي النَّوى بين إصْبَعَيْهِ، ويَجْمَعُ السَّبابَةَ والوُسْطَى. ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثم نَاوَلَهُ الذي عن يَمِينِهِ، قَالَ: فَقَالَ أبي - وَأَخَذَ بلِجَامِ دَابَّتِهِ -: ادْعُ الله لَنا، فقال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لهم فيما رَزَقْتَهُمْ، واغْفِرْ لهم وارْحَمْهُم»[٢] رواه مسلم.

وعن أنسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ جاءَ إلى سَعْدِ بنِ عُبادَةَ، فجاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النبيُّ ﷺ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وأَكَلَ طَعَامَكُمْ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُم الملائِكَةُ»[٣] رواه أبوداود.

⊙ ⊙ ⊙ ⊙ ⊙

في السلام

عن عَبْدِ الله بنِ عمروٍ رَضِيَ الله عنهما أنَّ رجلًا سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أيُّ الإسلام خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[٤] متفق عليه.

وقال أبو هريرةَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الجنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ على شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوه تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ»[٥] رواه أبوداود.

وَقَالَ أَنسٌ: «مَرَّ النبيُّ ﷺ عَلَى صِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ، فَسَلَّمَ عليهم»[٦]. حديث صحيح.

وقال أبو هريرةَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذا انْتَهَى أَحَدُكُم إلى المجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فإنْ

---

(١) الوطبة: طعام يجمع فيه بين التمر والأقط والسمن وهو الحيس.

(٢) مسلم (٢٠٤٢).

(٣) أبوداود (٣٨٥٤)، وأحمد (٣/ ١٣٨).

(٤) البخاري (١٢، ٢٨، ٦٢٣٦)، ومسلم (٣٩).

(٥) مسلم (٥٤)، وأبوداود واللفظ له (٥١٩٣).

(٦) البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

بَدَا له أنْ يَجْلِسْ فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَت الأولى بأحقَّ مِنَ الآخِرَةِ»[١] قال الترمذيُّ حديث حسن.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ عند العُطَاسِ

قال أبو هريرةَ عَنِ النبي ﷺ: «إنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فإذا عَطَسَ أحَدُكُم وحَمِدَ الله، كانَ حقًّا على كلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ يَقُولَ: يَرْحَمُكَ الله، وأمَّا التثاؤبُ فإنَّما هو مِنَ الشيطانِ، فإذا تَثَاءَبَ أحدُكُمْ، فليَرُدَّهُ ما اسْتَطَاعَ، فإنَّ أحدَكُمْ إذا تَثَاءَبَ ضَحِكَ الشيطانُ منه»[٢] رواه البخاري.

وعنه أيضًا عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إذَا عَطَسَ أحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لله، وَلْيَقُلْ لَهُ أخُوهُ أو صاحبُهُ: يَرْحَمُكَ الله، فإذا قَال له: يَرْحَمُكَ الله، فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمْ الله ويُصْلِحُ بالَكُمْ»[٣] رواه البخاري.

وقال أبو موسى الأشعريُّ رَضِيَ الله عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إذَا عَطَسَ أحَدُكُمْ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتُوهُ، فإنْ لـم يَحْمَدِ الله، فلا تُشَمِّتُوهُ»[٤] رواه مسلم.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ذكرِ النكاحِ والتهنئةِ به، وذكرِ الدخولِ بالزوجةِ

قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ: عَلَّمَنا رَسُولُ الله ﷺ خُطْبَةَ النِّكَاحِ «الحَمْدُ لله نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لَهُ، وأشْهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا الله وحدَهُ لَا شَرِيكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ».

---

(١) الترمذي (٢٧٠٦)، وأبو داود (٥٢٠٨).

(٢) البخاري (٦٢٢٣، ٦٢٢٦).

(٣) البخاري (٦٢٢٤).

(٤) مسلم (٢٩٩٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[1] [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] رواه أهلُ السننِ الأربعةِ، وقال الترمذيُّ: حديث حسن.

– وعن أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا رفَّأ[2] الإنسانَ إذا تزَوَّجَ قالَ: «بَارَكَ اللهُ لك، وبَارَكَ عَلَيْكَ، وجَمَعَ بينكما في خَيْرٍ وعافية»[3]. قال الترمذيُّ: حديث حسن صحيح.

– وعن عمرِو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جَدِّه عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إذا تَزَوَّجَ أحدُكُم امْرَأَةً، أو اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خيرَها، وخيْرَ ما جَبَلْتَها عَلَيْهِ، وأعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ ما جَبَلْتَها عليه، وإذا اشْتَرَى بَعِيرًا، فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذلك»[4] رواه أبوداودَ.

– وفي «الصحيحينِ» عن ابنِ عبَّاسٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لو أنَّ أحدَكُمْ إذَا أتَى أهلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشيطانَ، وجَنِّبِ الشيطانَ ما رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بينهما وَلَدٌ، لم يَضُرَّهُ شيطانٌ أبدًا»[5].

● ● ● ● ●

في صِيَاحِ الدِّيكَةِ والنهيقِ والنُّبَاحِ

– في «الصحيحينِ» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نهيقَ الحمارِ، فتعوَّذُوا بالله من الشيطانِ، فإنَّه رَأَى شيطانًا، وإذا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ،

(١) أبوداود (٢١١٨)، والنسائي (١٤٠٤، ٣٢٧٧)، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢).
(٢) رفَّأ: هنأ ودعا.
(٣) أبوداود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥)، وأحمد (٢/ ٣٨١).
(٤) أبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (١٩١٨).
(٥) البخاري (٣٢٧١)، ومسلم (١٤٣٤).

فَسَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فإنَّها رَأَتْ مَلَكًا»[١].

- وفي «سنن أبي داودَ» عن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الكلاب ونَهِيقَ الحَمِيرِ بالليلِ، فتعوَّذُوا بالله منهُنَّ، فإنَّهُنَّ يَـرَيْنَ ما لا تَرَوْنَ»[٢]. رواه أبوداود.

● ● ● ● ●

في كفارةِ المجلسِ

- عن أبي هريرةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا، فَكَثُرَ فيه لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أنْ يَقُومَ من مَجْلِسِهِ ذلك: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا أنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إليكَ، إلَّا كَفَّرَ اللهُ لَهُ ما كانَ في مَجْلِسِه ذلك»[٣]. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

- وعن ابن عمرَ قال: قلَّما كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حتى يدعوَ بهؤلاءِ الدَّعواتِ لأصحابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِك، ومِنْ طاعَتِكَ ما تبلِّغُنا به جنَّتَكَ، ومن اليقينِ ما تهوِّنُ به علينا مصائبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بأَسْمَاعِنَا وأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا ما أَحْيَيْتَنَا، واجْعَلْهُ الوَارِثَ منَّا، واجْعَلْ ثَأْرَنَا على مَنْ ظَلَمَنا، وانْصُرْنا على مَنْ عَادَانا، ولا تَجْعَلْ مُصيبَتَنا في دِينِنَا، ولا تَجْعَل الدنيا أكبرَ هَمِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، ولا تُسَلِّطْ علينا مَنْ لا يَرْحَمُنا»[٤]. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ.

● ● ● ● ●

---

(١) البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).

(٢) أبوداود (٥١٠٣)، وأحمد (٣/ ٣٠٦، ٣٥٥).

(٣) الترمذي (٣٤٣٣)، وأحمد (٢/ ٤٩٤).

(٤) الترمذي (٣٥٠٢).

فيما يقالُ ويُفعلُ عند الغضبِ

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وقال سليمانُ بنُ صرد: كنتُ جالسًا مَعَ النبيِّ ﷺ ورجلانِ يَسْتَبَّانِ: أحدُهما قَدْ احمَرَّ وَجهُهُ وانْتَفَخَتْ أوداجُهُ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لو قَالَها لَذَهَبَ عنْهُ ما يَجِدُ، لو قال: أعُوذُ باللهِ من الشيطانِ الرَّجيمِ ذَهَبَ عنه ما يَجِدُ»(١) متفق عليه.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

فيما يُقالُ عند رؤيةِ أهلِ البلاءِ

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الحَمْدُ لله الذي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ به، وفضَّلني عَلَى كثيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لم يُصِبْهُ ذلك البلاءُ»(٢). قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ عند دخولِ السُّوقِ

عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الملكُ وله الحَمْدُ، يُحيي ويُمِيتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيدِهِ الخيرُ وهو عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ ألفَ ألفِ حَسَنَةٍ، ومَحَا عنه ألفَ ألفِ سَيِّئَةٍ، ورَفَعَ له ألفَ ألفِ درجةٍ»(٣) رواه الترمذيُّ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

---

(١) البخاري (٦٠٤٨)، ومسلم (٢٦١٠).

(٢) الترمذي (٣٤٣٢).

(٣) الترمذي (٣٤٢٨)، وقال: غريب.

في الدابة إذا عَثَرت

عن أبي المليح عن رجلٍ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النبيِّ ﷺ، فَعَثَرَتْ دابَّتُهُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشيْطَانُ، فقالَ: «لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيطانُ، فإنَّكَ إذا قُلْتَ ذلك تَعَاظَمَ حتى يكونَ مِثْلَ البيْتِ، ويقولُ بِقُوَّتِي، ولكنْ قُلْ: بِسْمِ الله، فإنَّك إذا قُلْتَ ذلك تَصَاغَرَ حتى يكونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»[١].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

فيمن أهدى هديةً أو تصدّق بصدقةٍ فدعا له، ماذا يقولُ؟

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ شَاةٌ فَقَالَ: «اقْسِميها». وكانَتْ عائشةُ رضي الله عنها إذا رَجَعَتِ الخَادِمُ تَقُولُ: مَاذَا قَالُوا؟ تَقُولُ الخَادِمُ: قَالُوا: بَارَكَ الله فِيكُمْ، تَقُولُ عائشةُ رضِيَ الله عنها: وفيهم بَارَكَ اللهُ، نَرُدُّ عليهم مِثْلَ ما قَالُوا، ويَبْقَى أجْرُنَا لنا[٢].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في رؤيةِ باكورةِ الثمرةِ

قَالَ أبو هريرةَ رضي الله عنه: كانَ النَّاسُ إذا رأَوْا أوَّلَ الثَّمَر جاؤُوا به إلى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لنا في مَدِينَتِنَا، وبَارِكْ لنا في صَاعِنَا، وبَارِكْ لنا في مُدِّنَا» ثم يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَن يَحْضُرُهُ مِنَ الوِلْدَانِ»[٣]. رواه مسلم.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الشيءِ يراه ويُعجبُه ويخافُ عليه العينَ

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩].

---

(١) أبو داود (٤٩٨٢).

(٢) النسائي في الكبرى (١٠١٣٥)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٢٧٧).

(٣) مسلم (١٣٧٣).

- وقَالَ النبيُّ ﷺ: «العَيْنُ حَقٌّ، ولَوْ كانَ شَيءٌ سَابقَ القَدَرَ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ»[١] حديث صحيح.

- ويُذْكَرُ عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ ما يُعْجِبُهُ في نَفْسِهِ أو مالِهِ فَلْيُبَرِّكْ عليه، فإنَّ العَيْنَ حَقٌّ»[٢].

- وقال أبو سعيد: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإنْسانِ، حتى نَزَلَتْ المعوِّذَتَانِ، فلَمَّا نَزَلتا أَخَذَ بهما وتَرَكَ ما سِوَاهُما[٣]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الفألِ والطِّيَرةِ

- قَالَ النبيُّ ﷺ: «لَا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ، وأَصْدَقُها الفَأْلُ» قِيلَ: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ يَسْمَعُهَا الرَّجُلُ»[٤].

- وكان النبيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الفَأْلُ[٥].

وأما الطِّيَرَةُ: فقَالَ معاويةُ بنُ الحَكَمِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، منَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَيءٌ تَجِدُونَهُ في صُدُورِكُمْ فلا يَصُدَّنَّكُمْ»[٦] وهذه الأحاديث في «الصحاح».

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ عندَ دخولِ الخَلاءِ والخروجِ منه

في «الصحيحينِ» عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كانَ النبيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الخَلاءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبْثِ والخَبَائِثِ»[٧].

---

(١) مسلم (٢١٨٨).
(٢) النسائي في الكبرى (١٠٨٢)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٨٦).
(٣) الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجه (٣٥١١).
(٤) البخاري (٥٧٥٤)، ومسلم (٢٢٢٣). والطيرة: هي التشاؤم.
(٥) البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤). والفأل: توقُّع ما يُسُرّ.
(٦) مسلم (٥٣٧).
(٧) البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

وفي الترمذيِّ عن عليٍّ رَضِيَ الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سِتْرُ مَا بَيْنَ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الكنِيفَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ الله»(١).

وقالت عائشةُ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا خَرَجَ مِنَ الغَائِطِ قَالَ: «غُفْرَانَكَ»(٢) رواه الإمام أحمدُ وأهلُ السننِ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ عند إرادةِ الوضوءِ

وفي «صحيح مسلم» عن جابرٍ رضي الله عنه في حديثِهِ الطويلِ، وفيه: «يَا جَابِرُ نَادِ بِوَضُوءٍ» فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءٌ؟ أَلَا وَضُوءٌ؟ أَلَا وَضوءٌ؟ وفيه فَقَالَ: «خُذْ يا جابرُ فَصُبَّ عليَّ وَقُلْ: بِسْمِ الله» فَصَبَبْتُ عليه، وقلتُ: بِسْمِ الله، فرأيتُ الماءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ الله ﷺ(٣).

وفي «المسندِ» و«السننِ» من حديثِ سعيدِ بنِ زيدٍ عن النبيِّ ﷺ: «لَا وُضُوءَ لمن لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ الله عَلَيْهِ»(٤).

قال البخاريّ: هذا أحسنُ شيءٍ في هذا البابِ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ بعد الفراغِ من الوُضوءِ

روى مسلمٌ في «صحيحِه» عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتوضَّأُ فَيُبْلِغُ - أو فيُسْبِغُ - الوُضُوءَ ثُمَّ يقولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إلهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأَشْهَدُ أَنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ»(٥).

---

(١) الترمذي (٦٠٦)، وابن ماجه (٢٩٧).

(٢) أبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠)، وأحمد (٦/ ١٥٥).

(٣) مسلم (٣٠١٣).

(٤) الترمذي (٢٥)، وابن ماجه (٣٩٨).

(٥) مسلم (٢٣٤).

وزاد فيه الترمذيُّ بعدَ ذِكْرِ الشَّهادَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْني من التَّوَّابِينَ واجْعَلْني من المتطهِّرِينَ»(١).

وأما الأذكارُ التي يقولُها العامَّةُ على الوضوءِ عند كلِّ عضوٍ، فلا أصلَ لها عن رَسُولِ الله ﷺ، ولا عن أحدٍ من الصحابةِ والتابعينَ، ولا الأئمةِ الأربعةِ، وفيها حديثٌ كَذِبٌ على رسولِ الله ﷺ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في ذكرِ صلاةِ الجنازةِ

في «صحيح مسلم» عَنْ عَوْفِ بنِ مالكٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى جِنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُم اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ، وَعَافِهِ واعْفُ عَنْهُ، وأكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، واغْسِلْهُ بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ، ونَقِّهِ مِنَ الذُّنُوبِ والخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبْيَضُ من الدَّنَسِ وأَبْدِلْهُ دارًا خيرًا من دارِهِ، وأهلًا خيرًا مِنْ أهلِهِ، وَزَوْجًا خيرًا مِنْ زَوْجِهِ، وأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»، قال: حتى تَمَنَّيْتُ أنْ أكُونَ أنا ذلك الميِّتَ، لِدُعَاءِ رسولِ الله ﷺ. وفي لفظٍ: «وَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ وعَذَابَ النَّارِ»(٢).

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكر إذا قال هُجْرًا أو جَرَى على لسانه ما يُسخِطُ ربَّه عزَّ وجلَّ

ثَبَتَ عَنِ النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: واللَّاتِ والعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إله إلَّا الله، ومَنْ قَالَ لصاحبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ»(٣).

فكلُّ مَنْ حَلَفَ بغيرِ الله فهذه كفَّارَتُهُ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بغيرِ الله فَقَدْ أَشْرَكَ»(٤) حديثٌ صحيحٌ.

---

(١) الترمذي (٥٥).

(٢) مسلم (٩٦٣).

(٣) البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

(٤) أبوداود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥).

وكفَّارةُ الشِّرْكِ: التوحيدُ، وهو كلمةُ «لَا إلهَ إلَّا اللهُ». ومَنْ قال: تَعالَ أُقَامِرْكَ، فقد تكلَّمَ بهُجْرٍ وفحشٍ يَتَضَمَّنُ أكلَ المالِ وإخراجَهُ بالباطلِ، وكفَّارةُ هذه الكلمةِ بضدِّ القِمارِ، وهو إخراجُ المال في أحقِّ مواضِعِه وهو الصَّدَقَةُ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

فيما يُقالُ ويُفعلُ عند كسوفِ الشمسِ وخسوفِ القمرِ

في «الصحيحين» عن عائشةَ رَضِيَ الله تعالى عنها عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ لا يُخْسَفَانِ لموْتِ أَحَدٍ وَلَا لحيَاتِهِ، فإذا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فادْعُوا الله، وكبِّرُوا وتَصَدَّقُوا**»[(١)].

والنبيُّ ﷺ أَمَرَ في الكُسُوفِ بالصَّلاةِ، والعَتَاقَةِ، والمبادرةِ إلى ذِكْرِ الله تعالى، والصَّدَقَةِ، فإنَّ هذه الأمورَ تَدْفَعُ أَسبَابَ البَلَاءِ.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في عَقْدِ التسبيحِ بالأصابعِ

- روى الأعمشُ عن عطاءِ بن السائبِ عن أبيه عن عبدِ الله بن عمرٍو قال: رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بيمينِهِ[(٢)]. رواه أبوداودَ.

- وروتْ يُسَيْرةُ إحدى المهاجراتِ رَضِيَ الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَلَيْكُنَّ بالتَّسْبِيحِ والتهليلِ والتقْدِيسِ، ولَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ، واعْقِدْنَ بالأَنَامِلِ فإنَّهُنَّ مَسْؤولَاتٌ ومُسْتَنْطَقَاتٌ**»[(٣)].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

---

(١) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٢) أبوداود (١٥٠٢)، والترمذي (٣٤٨٦).

(٣) أبوداود (١٥٠١)، والترمذي (٣٥٨٣)، وأحمد (٦/ ٣٧٠).

في أحبِّ الكلام إلى الله عزَّ وجلَّ بعد القرآنِ

ثبت في «صحيح مسلم» عن سَمُرَةَ بنِ جُندبٍ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَحَبُّ الكَلَامَ إلى الله تعالى أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، ولَا إِلهَ إِلَّا الله، واللهُ أكبرُ»(١).

وفي «الصحيحينِ» عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسانِ، ثَقيلَتَانِ في الميزانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله العظيم»(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لأَنْ أقولَ: سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، وَلَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، أحبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعتْ عليه الشَّمْسُ»(٣).

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ المضاعَفِ

في «صحيح مسلم» عن جُويريةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حين صلَّى الصبحَ وهي في مَسْجِدِها، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَما أَضْحَى وهي جالسةٌ، فقال: «مَا زِلْتِ عَلَى الحالِ التي فَارَقْتُكِ عَلَيها؟» قالتْ: نَعَم. فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لو وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمَ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَى نفسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»(٤).

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في الذكرِ الذي يقولُه أو يُقال له إذا لبس ثوبًا جديدًا

قال أبو نضرةَ: وكانَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ إِذَا رَأَى أَحَدُهُم على صاحبِهِ ثوبًا قَالَ: يَبْلَى ويُخْلِفُ الله تعالى. ذكره البيهقي.

(١) مسلم (٢١٣٧).

(٢) البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) مسلم (٢٦٩٥).

(٤) مسلم (٢٧٢٦).

وعن سهلِ بن معاذ بن أنسٍ عن أبيه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الحَمْدُ لله الذي كَسَانِي هذا وَرَزَقَنِيهِ من غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ومَا تأخَّرَ»[1].

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

فيما يقال عند رؤيةِ الفجرِ

- روى ابنُ وهبٍ عن سليمانَ بنِ بلالٍ عن سهيلِ بن أبي صالحٍ عن أبيه عن أبي هريرةَ قال: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا كانَ في سَفَرٍ فَبدا له الفَجْرُ قَالَ: «سَمَّعَ سامعٌ بحَمْدِ الله ونِعْمَتِهِ وَحُسْنِ بَلائِهِ عَلَيْنَا، ربنا صَاحِبْنَا فَأَفْضِلْ علينا عائذًا بالله من النَّارِ»[2] يقولُ ذلك ثَلاثَ مرَّاتٍ، ويرفعُ بها صوتَهُ. هذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

◉ ◉ ◉ ◉ ◉

في التسليم للقضاءِ والقدرِ، بعد بذلِ الجهدِ في تعاطي ما أمر به من الأسبابِ

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦]. فنهى سبحانه عباده أن يتشبَّهوا بالقائلين: لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافِه.

وقَالَ النبيُّ ﷺ: «وإيَّاكَ واللَّوْ، فإنَّ اللَّو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[3].

وقال أبو هريرة: قَالَ النبيُّ ﷺ: «المؤْمِنُ القويُّ خَيْرٌ وأحبُّ إلى الله مِنَ المؤْمِنِ الضَّعيفِ، وفي كلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بالله، ولا تَعْجَزْ، وإنْ أصابَكَ شَيءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وكَذَا، ولكن قُلْ: قَدَرُ الله وما شاءَ فَعَلَ، فإنَّ لَوْ

---

(١) أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٤٥٨).

(٢) ابن خزيمة (٢٥٧١)، وهو عند مسلم (٢٧١٨) أنه كان يقول ذلك عند السحر وليس فيه التكرار.

(٣) أحمد (٢/ ٣٦٦)، وابن ماجه (٤١٥٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٥٧، ١٠٤٥٨).

تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ»[١] رواه مسلم.

⊙ ⊙ ⊙ ⊙ ⊙

في جَوَامِعَ من أدعيةِ النبيِّ ﷺ وتعوُّذاتِه لا غنى للمرءِ عنها

قالت عائشة: كانَ النبيُّ ﷺ يُحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ ويدَعُ ما بين ذلك.

- وفي «الصحيحين» من حديث أنس بن مالكٍ قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ النبيَّ ﷺ، فكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكثِرُ أنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ من الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[٢].

- وفي «صحيح مسلم» عن زيدِ بنِ أرقمَ رضي الله عنه قال: لَا أَقُولُ لَكُم إلَّا كَمَا كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ، كانَ يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، والهَرَمِ وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وزكِّها أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاها، أَنْتَ وليُّها ومَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، ونَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»[٣].

- وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَدْعُو في صلاتِهِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المسيح الدَّجَّالِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المحْيَا والمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ والمغْرَم» فَقَالَ لَهُ قائلٌ: ما أَكْثَرَ ما تَسْتَعِيذُ مِنَ المغْرَمِ؟ قَالَ: «إنَّ الرَّجَلَ إذا غَرِمَ، حدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[٤].

- وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دُعَاءِ النبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وتحوُّلِ عَافِيَتِكَ، ومِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، ومِنْ جَمِيعِ سَخِطكَ»[٥].

(١) مسلم (٢٦٦٤).
(٢) البخاري (٦٣٦٩)، ومسلم (٢٧٠٦).
(٣) مسلم (٢٧٢٢).
(٤) البخاري (٨٣٣، ٦٣٧٥، ٦٣٧٦)، ومسلم (٥٨٩).
(٥) مسلم (٢٧٣٩).

– وفي الترمذي عن عائشة قالت: قُلْتُ: يا رَسُولُ الله أَرَأَيْتَ إنْ وافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ مَا أَسْأَلُ؟ قَالَ: «**قُولي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي**»(١) قال الترمذيُّ: حديث صحيح.

– وفي «صحيح مسلم» عن أبي مالك الأَشْجَعِيِّ عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ أَنْ يقولَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، واهْدِنِي، وارْزُقْني، وَعَافِنِي، وارْحَمْني**»(٢).

وفي «المسندِ» عن بُسرِ بنِ أَرْطَاَةَ رضي الله تعالى عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا في الأمُورِ كلِّها، وأَجِرْنَا مِنْ خِزي الدنيا وعَذَابِ الآخِرَةِ**»(٣).

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم» عن ربيعةَ بنِ عامرٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «**أَلِظُّوا بيَاذَا الجَلَالِ والإكْرَامِ**»(٤). أي: الزموها وَدَاوِمُوا عليها.

– وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لَهُمْ: «**أتحبُّونَ أيُّها النَّاسُ أنْ تَجْتَهِدُوا في الدُّعاءِ؟**» قالوا: نَعَمْ يا رَسُولَ الله. قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ أعِنَّا على ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ**»(٥).

– وفي «صحيحِه» أيضًا عن أنسٍ قال: كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ في حَلْقَةٍ، ورَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فلمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ، تَشَهَّدَ وَدَعا فَقَالَ في دعائِهِ: اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ بأنَّ لَكَ الحَمْدَ، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ بَدِيعُ السَّمواتِ والأرْضِ، يا ذا الجَلالِ والإكْرَامِ، يا حيُّ يا قَيُّومُ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ باسْمِهِ الأعْظَمِ الذي إذا دُعِيَ به أَجَابَ، وإذا سُئِلَ به أعْطَى**»(٦).

---

(١) الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠).

(٢) مسلم (٢٦٩٧).

(٣) أحمد (٤/ ١٨١)، وابن حبان (٢٤٢٤ ـ موارد).

(٤) أحمد (٤/ ١٧٧)، والحاكم (١/ ٤٩٩). وهو عند الترمذي (٣٥٢٤، ٣٥٢٥) من حديث أنس.

(٥) أحمد (٢/ ٢٩٩)، والحاكم (١/ ٤٩٩).

(٦) أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٥٥)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، والنسائي (١٣٠٠)، وأحمد (٣/ ١٢٠، ١٥٨).

- وفي «المسندِ» و«صحيح الحاكم» أيضًا، عن شدَّادِ بن أوسٍ رضي الله عنه قال: قَالَ لي رَسُولُ الله: «يا شَدَّادُ، إذا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ، فَاكْنِزْ هؤُلاءِ الكَلِماتِ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأَمْرِ، والعَزِيمَةَ على الرُّشْدِ، وأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وأسأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وأسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وأَسْتَغْفِرُكَ لِـمَا تَعْلَمُ، إنَّكَ أنْتَ عَلَّامُ الغيوبِ»[١].

- وفيه أيضًا عن عائشة: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أمَرَها أنْ تَدْعُوَ بهذا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كلِّهِ عَاجِلِهِ وآجِلِهِ، ما عَلِمْتُ مِنْهُ ومَا لَـمْ أَعْلَمُ، وأعوذُ بِكَ من الشرِّ كلِّهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما علمتُ منه وما لم أعلمْ، وأسألُكَ الجَنَّةَ وما قَرَّبَ إليها مِنْ قَوْلٍ أو عَمَلٍ، وأعوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ ومَا قَرَّبَ إليها مِنْ قَوْلٍ أو عَمَلٍ، وأسألُكَ مِنْ خَيْرِ ما سَأَلَكَ منه عبدُكَ ورَسُولُكَ محمدٌ ﷺ، وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما اسْتَعاذَ بِكَ منه عبدُكَ ورَسُولُكَ محمد ﷺ، وأَسْأَلُكَ ما قَضَيْتَ لي مِنْ أَمْرٍ أنْ تجْعَلَ عاقِبَتَهُ رَشَدًا»[٢].

- وفي «مسندِ الإمام أحمد» و«صحيح الحاكم» أيضًا، عن عمارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه، أنه صلَّى صَلاةً أَوْجَزَ فيها، فَقِيلَ لَهُ في ذلك، فقال: لَقَدْ دَعَوْتُ الله فيها بِدَعَواتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِني مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لي، وتَوَفَّني إذا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْرًا لي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ في الغَيْبِ والشَّهادَةِ، وأسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ في الغَضَبِ والرِّضَى، وأَسْأَلُكَ القَصْدَ في الفَقْرِ والغِنَى، وأسأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وأسألُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وأَسْأَلُكَ الرِّضى بَعْدَ القَضَاءِ، وأسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ الموْتِ، وأسألُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِك، وأسألُكَ الشوقَ إلى لِقَائِكَ، مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ، واجْعَلْنا هُداةً مُهْتَدِينَ»[٣].

- وفي «صحيح الحاكم» أيضًا: عن ابن مسعودٍ قال: كانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ الله ﷺ:

---

(١) الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤)، وأحمد (٤/ ١٢٥)، والحاكم (١/ ٥٠٨).

(٢) أحمد (٦/ ١٣٤)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، والحاكم (١/ ٥٢١).

(٣) النسائي (١٣٠٦)، وأحمد (٤/ ٢٦٤)، والحاكم (١/ ٥٢٤، ٥٢٥).

«اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، والسَّلَامَةَ مِنْ كلِّ إثْمٍ، والغَنِيمةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بالجنَّةِ، والنَّجَاةَ بعَوْنِكَ مِنَ النَّارِ»[1].

- وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن ابن عمرَ، أنه لم يكنْ يَجْلِسُ مَجْلِسًا - كانَ عندَهُ أَحَدٌ أو لَمْ يكُنْ - إلَّا قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ طَاعَتِكَ ما تَحُولُ به بَيْنِي وبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَارْزُقْنِي مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تُبَلِّغُنِي به رَحْمَتَك، وارْزُقْنِي مِنَ اليَقِينِ ما تُهَوِّنُ به عَلَيَّ مَصَائِبَ الدنيا، وَبَارِكْ لِي فِي سَمْعِي وَبَصَرِي، واجْعَلْهُما الوَارِثَ مِني، اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَأْرِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وانْصُرْنِي عَلَى مَنْ عَادَانِي، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي، ولَا مَبْلَغَ عِلْمِي، اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي». فَسُئِلَ عَنْهُنَّ ابنُ عُمَرَ فَقَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ يَخْتِمُ بِهِنَّ مَجْلِسَهُ[2].

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ حمدًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضَى، وكما ينبغي لكرمِ وجهِه وعزِّ جلالِه، ملءَ سمواتِه وملءَ أرضِه، وملءَ ما بينهما وملءَ ما شاء من شيءٍ بعد.

وصلى اللهُ عزَّ وجلَّ وملائكتُه وجميعُ خلقِه عليه كما عرَّف بالله تعالى ودعا إليه، وسلم تسليمًا.

● ● ● ● ●

---

(١) الحاكم (١/ ٥٢٥، ٥٣٤)، وهو عند الترمذي (٤٧٨)، وابن ماجه (١٣٨٤) من حديث عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي.

(٢) الحاكم (١/ ٥٢٨)، وهو عند الترمذي (٣٥٠٢).

الفهـرس